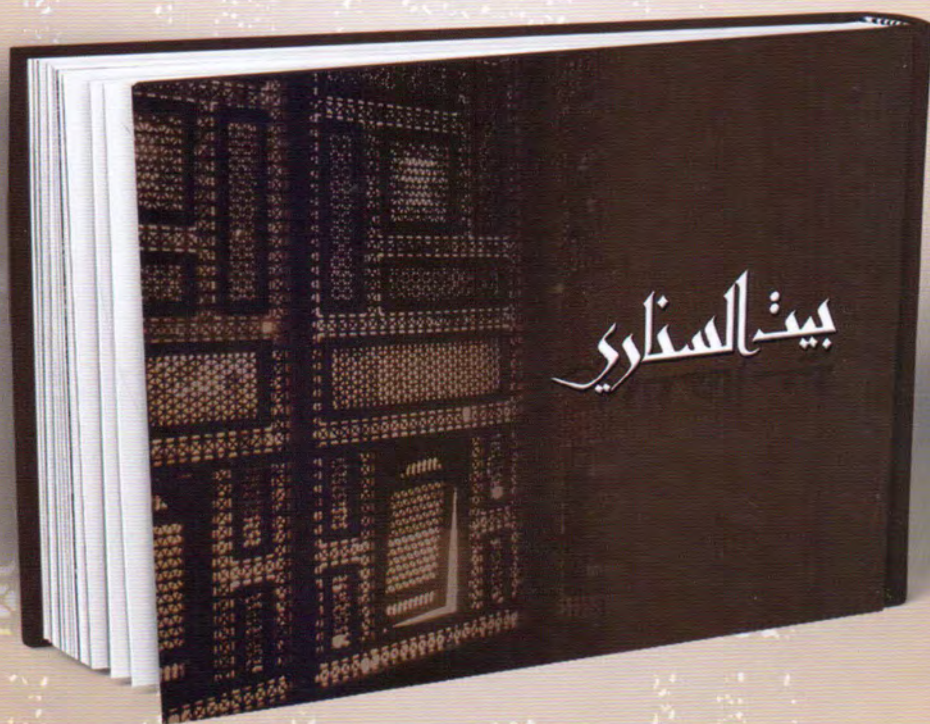


مجلة ربع سنوية – العدد الثامن عشر – يوليو ٢٠١٤

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

من إصدارات مكتبة الإسكندرية



مَتى الهَوى يجي سَوى

للبيانو
وضع الاستاذ
توفيق اسطنبوليه



الآنسة ام كلثوم

Emta El Hawa Yegui Sawa

Pour Piano
Par
Le Professeur
Toufik Stambouli

تلحين الاستاذ
زكريا احمد



الثمن ١٥ غرش صاغ

Prix P.T. 15

كل شيء والدنيا

العدد ٥٦٧ – الثمن ١٠ مليمات

الاربعاء ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ – ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٥٥

KOLSHEI WADDUNIA, No. 567, Cairo (Egypt) 16 September 1936



الاستقلال

عدد خاص



الفهرس



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
إسماعيل سراج الدين
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خالد عزب

سكرتير التحرير
سوزان عابد

المراجعة والتصحيح اللغوي
أحمد شعبان
رانيا محمد يونس

التصميم والإخراج الفني
ماري يوسف

عناوين
محمد جمعة

الإسكندرية، يوليو ٢٠١٤



تقديم

يمثل لنا العدد الثامن عشر من مجلة ذاكرة مصر قفزة جديدة في سلسلة أعداد المجلة، ففيه استكتبنا كتّابًا جددًا من جيل جديد، على رأسهم الباحث المغرم بتاريخ القبائل في مصر؛ الباحث عبد العزيز فضالي، الذي أعد موضوعًا ممتعًا عن قبيلة الهوارة في مصر، وفي هذا العدد أيضًا ملف خاص عن مدينة القاهرة.

ونوجه دعوة إلى كل مصري في كل مدينة وقرية إن توافرت لديهم صور أو وثائق؛ أن يمد ذاكرة مصر بها؛ لأننا نستهدف توثيق مصر؛ أرضًا وشعبًا. فتوثيق الشعوب وحياتها اليومية بُعد غائب في كل مشاريع التوثيق العربية؛ حيث جرى التركيز على التاريخ السياسي للحكام. وحياة الشعوب ثرية بما يجعلنا نكتشف كثيرًا من التفاصيل ؛كالمشترك والموروث الحضاري بين المصريين والمغرب العربي، فالمغاربة في مصر هاجروا واستقروا في مدن مثل رشيد وفوة ومطوبس والإسكندرية، واستقروا حول جامع ابن طولون في القاهرة، ونقلوا معهم عديدًا من العادات؛ كالأطعمة، أو الألفاظ والمصطلحات وغيرها.

خالد عزب
رئيس التحرير

مدينة القاهرة



ملف خاص

مصر عاصمة مصر المنسية

الدكتور خالد عزب




القاهرة في الأساطير العربية

الدكتور عمرو عبد العزيز منير

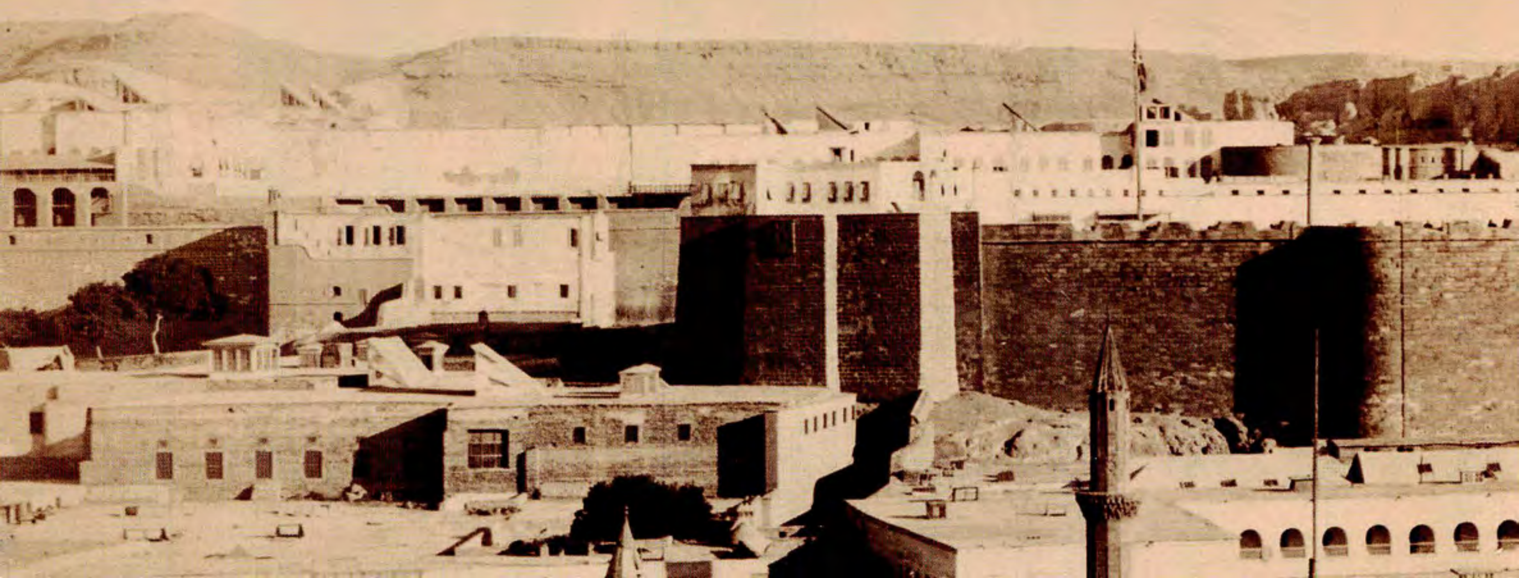



القاهرة
مطلع القرن التاسع عشر

قاهرة مفترق الطرق

الدكتور أيمن فؤاد سيد





مصر

عاصمة مصر المنسية

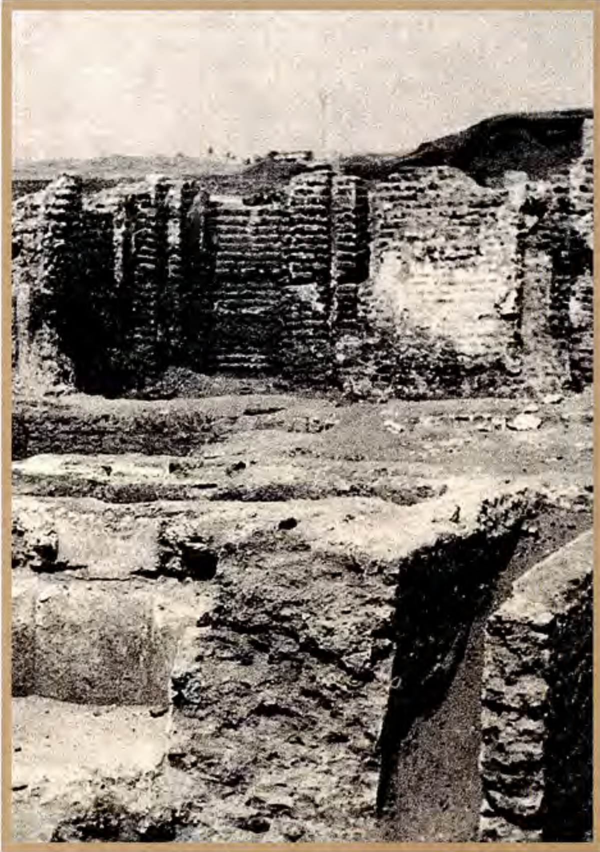
الدكتور خالد عزب

ظلت العاصمة المصرية، على مر العصور، تحتل مكانًا استراتيجيًّا وفقًا للمعطيات السياسية. ومنذ عصور ما قبل التاريخ، حين كانت مصر قسمين: قسمًا شماليًّا عاصمته بوتو، وقسمًا جنوبيًّا عاصمته طيبة - الأقصر حاليًّا-، احتلت العاصمة مكانة مركزية فى إدارة شئون الدولة. ولعل هذا ما دفع مينا، الذي وحد القسمين في دولة واحدة، إلى أن يختار موقعًا استراتيجيًّا جديدًا هو منف. وظلت منف - التي تقع عند أعلى الصعيد وأسفل قمة الدلتا؛ العاصمة الوطنية للمصريين حتى عصر الدولة الوسطى، عندما انتقلت العاصمة الى وسط الصعيد، ثم عادت مرة أخرى الى طيبة (الأقصر حاليًّا). وهذه العودة جاءت نتيجة لغزو الهكسوس لمصر وسيطرتهم على الدلتا وعلى العاصمة الوطنية للمصريين. وبالرغم من طرد الهكسوس؛ فإن العاصمة في الدولة الحديثة ظلت في طيبة، إلا في الفترات القليلة التي شهدت بعض القلاقل، أو تغيرًا في المذهب الديني، على نحو ما حدث في عهد إخناتون الذي نقل العاصمة إلى (تل العمارنة).

ومع تزايد النفوذ الأجنبي، اليوناني خصوصًا، في عصر الأسرة ٢٦، نقلت العاصمة إلى مدينة في شمال الدلتا هي (صا الحجر) التي كانت العناصر الإغريقية فيها هي الغالبة، حتى إن الفرعون أبسماتيك استخدم بعضهم في جيشه. وشيد هؤلاء الإغريق مدنًا في الدلتا، مثل مطوبس. وهكذا ارتبط الحراك الجغرافي للعاصمة بالحراك السياسي. إلى أن شيدت الإسكندرية لتكون عاصمة لمصر البطلمية. وقد يظن البعض أن الإسكندرية عاصمة حدودية، وهو ما يجعل موقعها غير مناسب؛ إذ إن الجغرافيين يشترطون في موقع العاصمة ألا تكون معرضة لأي هجوم، أي أن يتوفر لها الأمن بأن تكون داخل الدولة لا على حدودها. ولكن اختيار الإسكندرية كعاصمة لمصر جاء وفقًا للمعطيات السياسية للمحتل اليوناني، الذي أراد أن تكون عاصمته داخل الحوض الشرقي للبحر المتوسط الذي يسيطر عليه، ولذا كانت الإسكندرية بالنسبة إليه مناسبة، ولهذا السبب استمرت كعاصمة في العصرين الروماني والبيزنطي. وهو السبب نفسه الذي جعل عمر بن الخطاب بعد الفتح الإسلامي يرفض اتخاذ الإسكندرية عاصمة لمصر؛ لأنها تحولت - حينئذ - إلى مدينة حدودية.

وهكذا أدى التحول السياسي، الذي حدث فى مصر نتيجة للفتح الإسلامي، إلى اختيار مقر جديد للحكم يكون داخليًّا وقريبًا من عاصمة دولة الخلافة آنذاك وهي المدينة المنورة. ووقع اختيار عمرو بن العاص على موقع معسكره بجوار حصن بابليون، الذي يقع قرب التقاء دلتا النيل، بنيل صعيد مصر. وهو موقع قريب جغرافيًّا من العاصمة الفرعونية، فكانت مدينة الفسطاط.





أطلال مدينة الفسطاط

ونشأت الفسطاط في أول الأمر، كمعسكر للجند العرب الذين شاركوا في فتح مصر، وهؤلاء الجند اختطت المدينة لهم وفقًا لانتمائهم القبلي، أو لانتمائهم لإحدى فرق الجيش. وتحولت المدينة بالتدريج من معسكر أو قاعدة لاستكمال فتح مصر وترسيخه، وكذلك كقاعدة للفتوحات الإسلامية في الغرب، إلى مدينة حقيقية منذ أن تأسست القيروان على يد عقبة بن نافع الفهري، لدرجة أن الأخيرة صارت هي القاعدة التي تنطلق منها الجيوش وتستمد العون منها في فتح بلاد المغرب.

مع استكمال عمران المدينة فيما بين خططها، بدأت تظهر شبكة من الشوارع في العصر الأموي. ومع التحول السياسي بتولي العباسيين أمر الدولة الإسلامية، فإن هؤلاء أسسوا معسكرًا بجوار الفسطاط كمقر لجندهم أسموه العسكر؛ وذلك لاستقرار الحياة المدنية في الفسطاط، والتي لم تعد تصلح لاستقبال الجنود وإقامتهم. ولما أسس أحمد بن طولون دولته، اتخذ لجنده مكانًا جديدًا هو القطائع، وهي امتداد طبيعي أيضًا للفسطاط، وتحولت كلٌ من العسكر والقطائع إلى ضاحيتين للفسطاط.

ولكن مع تأسيس حصن أو مدينة القاهرة، تحولت للمرة الأولى الوظيفة السياسية من الفسطاط إلى القاهرة. ورغم هذا التحول شهدت الفسطاط أوج ازدهارها الاقتصادي والعمراني. إلا أن تعرض هذه المدينة للحريق، على يد الوزير الفاطمي شاور، دفع الأثريين والمؤرخين إلى الاعتقاد بأنها اندثرت. لكن الثابت أن الفسطاط شهدت في العصرين الأيوبي والمملوكي حركة عمرانية نشطة. إلا أن ذلك لم يكن بالقدر نفسه الذي كان للقاهرة، التي تحولت بالتدريج، بدءًا من العصر الأيوبي، إلى مركز اقتصادي سلب من الفسطاط كثيرًا من وظائفها الاقتصادية. هذا فضلاً عن تحول مقر الحكم من القاهرة إلى قلعة صلاح الدين، والتي صارت مدينة ملكية متكاملة حتى عصر الخديوي إسماعيل، الذي فصل إدارة شئون البلد من قصر عابدين في القرن التاسع عشر. ويعود السبب في الاعتقاد الخاطئ باندثار مدينة الفسطاط إلى عاملين؛ العامل الأول: هو بقايا مدينة الفسطاط القديمة، وهي تلك التلال التي جرت فيها أعمال الحفر الأثري في القرن العشرين. وأوحت تلك التلال لكثيرين بأنها هي نفسها مدينة الفسطاط، بينما هي تمثل مجرد جزء من المدينة. والعامل الثاني: هو تحول اسم المدينة بمرور الوقت من الفسطاط إلى (مصر) من باب إطلاق اسم الكل على الجزء الذي هو حاضرة البلاد آنذاك. وإطلاق اسم الكل على الجزء نراه كذلك في سوريا؛ حيث يطلق على العاصمة السورية دمشق (الشام)؛ لأنها كانت ولا زالت حاضرة بلاد الشام. وهذا التحول في الاسم رأيناه يفرض نفسه يومًا بعد يوم على كتابات المؤرخين والجغرافيين. فعلى سبيل المثال: المقدس المتوفَّى في القرن العاشر، خصص قسمًا من كتابه (أحسن التقاسيم) لفسطاط مصر، وآخر لوصف القاهرة. بينما يذكر ناصر خسرو، اسم «مصر» صريحًا في رحلته، بدلاً من اسم الفسطاط. وكذلك فعل ابن الأثير الشيء نفسه. ونسي المؤرخون اسم الفسطاط تدريجيًّا إلى أن صار علمًا على المدينة. ولكن مع تأسيس القاهرة ثم القلعة كمقر للحكم، عامل الجغرافيون كلاً من مصر والقاهرة والقلعة، على أنها ثلاث مدن منفصلة، ورأينا (مصر) بمرور الوقت يطلق عليها (مصر القديمة)، وهي التسمية التي رسخت في العصر العثماني، وإلى يومنا هذا. فإذا كانت الفسطاط تحول اسمها من مصر إلى مصر القديمة، فإن هذا التحول يحمل في طياته سببًا غير معلن. ولعل هذا السبب يعود إلى اعتبار المصريين أن القاهرة والقلعة فيما بعد، هما مدينة مصر الجديدة، وهذا ما يعبر عنه كتاب «النخبة الوفية في علم الجغرافية»، وهو من تأليف يعقوب صبري أفندي، ويعد أول كتاب وضع بالعربية في جغرافية مصر والعالم في القرن التاسع عشر؛ إذ يذكر أنه كان يطلق آنذاك على القاهرة «مصر».



جرار فخارية عثرت عليها بعثات التنقيب في مدينة الفسطاط





أطلال مدينة الفسطاط



وتعود غلبة اسم القاهرة على اسم العاصمة الرسمية لمصر، إلى إنها كانت منذ العصر المملوكي أكبر الحواضر القريبة من القلعة، وهو الأمر الذي جعل العمري؛ وهو جغرافي عاش في العصر المملوكي، يعتبرها قاعدة مصر.

وجاء الخديوي إسماعيل ليوسع من المدينة في ضاحية الإسماعيلية أو ما يعرف اليوم بوسط القاهرة. ورسخ اسم القاهرة كعاصمة لمصر دوليًا نتيجة لكتابات الرحالة الأوروبيين، الذين انبهروا بعمرانها خصوصًا مع ارتباطها في مخيلة الغرب بقصص «ألف ليلة وليلة». ورسخت هذا أيضًا الخرائط الجغرافية التي صارت تطلق على عاصمة مصر (القاهرة) بدءًا من خريطة الحملة الفرنسية. وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كان يطلق على القاهرة (محافظة مصر)، وهذا الأمر يتضح خصوصًا في الأوامر الخديوية. ولكن ينبغي ملاحظة أنه إذا كانت القاهرة هي العاصمة الرسمية، فإن الفسطاط أو (مصر) ظلت هي العاصمة الشعبية لمصر. ويعني المصريين بـ«مصر» تلك المدينة التي نمت منذ أسس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط، إلى أن تضخمت وصارت إقليمًا كبيرًا يتكون من عدد من المدن هي: القاهرة ومصر القديمة وحلوان ومصر الجديدة والجيزة وعين شمس وإمبابة، وسكان هذا الإقليم يمثلون خمسة وعشرين في المئة من سكان مصر. ولذا حق للمصريين أن يسموا هذا الإقليم «مصر» وليس القاهرة الكبرى كما يطلق عليه رسميًا بطريق الخطأ. وأهل الدلتا والصعيد يعتبرون إلى اليوم أن عاصمة مصر هي «مصر».

بقايا السورالدائر حول «مصر»













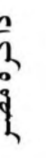
القاهرة في الأساطير العربية

الدكتور عمرو عبد العزيز منير



مدينة القاهرة من أقدم العواصم التي ضمت بين جنباتها ملامح كل العصور، تبرز مبانيها القديمة عبقرية العصر الذهبي للعمارة والفنون، وتعكس شوارعها طبيعتها المتوهجة وشخصيتها المتفردة، فتبرهن على مدى البهاء والعظمة الذين كانت عليهما في الأزمنة الخالية لاسيما في عصر سلاطين المماليك ونراها مجسدة في خيالنا كما تصورها كتب التاريخ مدينة حالمة ساحرة لا تنام، تزينت ولبست أبهى حللها، وغيرت ملامحها التي اشتهرت بها في العصر الفاطمي، فاتسعت أرجاؤها وتم هدم الكثير من عمائرها القديمة، وتنافس سلاطين المماليك على تشييد أروع المنشآت الدينية من مساجد ومدارس وكتاتيب وأسبلة، فأضحت مدينة للقباب والمآذن أبهرت عمارتها الروحية قلوب العابدين. كانت مدينة للفن والفنانين تميزت بطابعها الفريد، فحسرت عيون الرحالة والمؤرخين بجمالها وروعتها. وصار شارع القصبة الشارع الأعظم شريان المدينة الرئيس ومركز النشاط الصناعي والتجاري ومسار المواكب والاحتفالات، وقامت الأسواق الرئيسية على جانبيه.







اتسعت رقعة القاهرة في العصر المملوكي وصارت من أكبر المدن وفاقت في حجمها وعدد سكانها كل مدن العالم الإسلامي والأوروبي. وقد قدر تعداد قاطنيها في القرن الرابع عشر الميلادي ما يزيد عن الربع مليون نسمة تقريبًا على الرغم من أن الزوار كانوا يبالغون في الرقم، ويقدرونه بحوالي ثلاثة ملايين نفس؛ بسبب الزحام الذي كانوا يصطدمون به في الشوارع. وازدادت مساحة القاهرة وضمت كل عواصم مصر الإسلامية السابقة فصارت تشمل الفسطاط التي بناها القائد عمرو بن العاص ٦٤١ م، والعسكر التي بناها العباسيون ٧٥٠ م، والقطائع التي بناها أحمد بن طولون ٨٧٠ م، والقاهرة التي بناها الفاطميون ٩٦٩ م. وورثت المدينة الجديدة التي اختطها جوهر كل ما قام من عواصم قبلها، وتحولت هذه المدن السابقة إلى مجرد أحياء أصبحت من نسيج المدينة ولحمتها. ولم تعد القاهرة المملوكية مدينة محصنة؛ إذ تلاشت أسوارها وسط أحياء المدينة. وامتد العمران إلى خارج الأسوار وصارت مركز الدولة الإداري والسياسي. وبعالمها الثقافي المتوهج وإيقاعاته المتداخلة شكلت زاوية الدفء والحلم الجميل في ذاكرة عشاقها التي لم تكن يومًا سوى مدينة للدهشة والذهول. وتتلاشى الفواصل بين الخيال والواقع، وتنصهر القرون بين ربوع مدينة الألف مئذنة التي كانت في زمن سلاطين المماليك بمثابة ستارة المسرح الخلفية التي جرت عليها حكايات ألف ليلة وليلة الخيالية، هذه الخيالات الرومانسية التي كانت تمسك بأيدي السامعين،

وتجوب بهم الأسواق والمنازل، ليشاهدوا الحياة المتواضعة والراقية في الشوارع والميادين وساحات الإنشاد الديني، وكل ما يمس نسيج الحياة بين الناس.

فكان خط السماء اللامتناهي في تنوعه ما بين المآذن والقباب التي نراها في العاصمة يستلفت نظر جميع الزوار الذين كانوا يسارعون إلى المقارنة بين القاهرة وبقية المدن المصرية القديمة. برغم حداثة وجودها نسبيًا فإنها سرعان ما سادت الحياة المصرية بصورة طاغية غير عادية، وحازت شهرة واسعة جعلت منها مدينة عظيمة، آهلة يحبى إليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال، ما لا يحيط بجملته وتفصيله إلا خالق الكل جل وعلا. فأضحت حضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الكثير من البشر.

وكان من الضرورة بمكان؛ أن تحظى القاهرة بقدر أوفر من الأساطير والحكايات الشعبية خاصة فيما يتعلق بنشأتها وتأسيسها، الأمر الذي جعل أساطير تأسيس القاهرة تطغى على أسطورة تأسيس الإسكندرية ذات القدم في الزمان والمكان، وتتشابه معها في المضمون، الأمر الذي يفسر أن هذه القصص بأبعادها الأسطورية لم تبد نائتة أو شاذة عن نسيج وروح القصص الوارد عن تأسيس المدن وفكرة الطالع السعيد، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى قد يرجع تقارب روايات تأسيس القاهرة مع روايات تأسيس الإسكندرية إلى تشابه ولزوجة تركيب الوجدان الشعبي نفسه، أو ربما كانت تلك الاستعارة من باب خلع صفات على القاهرة شبيهة بصفات عراقة تاريخ الإسكندرية، ورغبة الوجدان الشعبي في أن يجعل القاهرة مؤثرة لا متأثرة، معيرة لا مستعيرة، ناحلة لا منتحلة.

يقول ابن ظهيرة (في محاسنه): «لما قصد جوهر الصقلي في بناء السور، جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعًا لحفر الأساس، وطالعًا لرمي حجارته، فجعلوا خشبًا، بين كل قائمتين حبل فيه أجراس، وأعلموا البنائين أن ساعة تحريك هذه الأجراس ترمون ما بأيديكم من الطين والحجارة في الأساس، فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة، فاتفق من مشيئة الله سبحانه وتعالى أن وقع غراب على خشبة من تلك الأخشاب، فتحركت الأجراس، فظن الموكلون بالبناء أن المنجمين قد حركوها، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس، «لذلك السبب لا تنقطع الدماء والقتال والنزاع والفتن والفساد عن القاهرة المعزية التي سميت بهذا الاسم لوضع أساسها في طالع المريخ ...».

ومع اتفاق في المعنى واختلاف في الألفاظ يحكي الرحالة والمؤرخون عن بناء وتأسيس الإسكندرية: «حكى المسعودي أن الإسكندر وقع له مثل ذلك في بناء الإسكندرية، أنه أحب أن يرمي أساسها دفعة واحدة في سائر أقطارها، في وقت محمود يختاره، وطالع سعيد، فخفق رأس الإسكندر، وكان قد احترز في نفسه في حال ارتقابه الوقت المحمود، فنام فجلس على حبل الجرس الكبير غراب، فحركه فصوت وتحركت الحبال، وخفق ما عليها من الأجراس الصغيرة، فلما سمع الصناع تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة، وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس، فاستيقظ الإسكندر من رقدته، وسأل عن الخبر، فأخبر، فتعجب وقال: أردت أمرًا وأراد الله غيره، ويأبى الله إلا ما يريد، أردت طول بقائها، وأراد الله سرعة فنائها وخرابها...».

تؤدي فكرة «الطالع»، دورها في بقاء أو بناء المدن ولعل للسبب نفسه أرجع السيوطي سبب بقاء الأهرام إلى «الطالع السعيد»؛ حيث: «كان ابتداء بنائها في طالع سعيد». وانساق الرحالة والمؤرخون لهذا النزوع الأسطوري عندما ربطوا بين طالع السعد وأخلاق أهل القاهرة بقولهم: «ووضع البناؤون الأساس في لمح البصر، فبُهِتَ المنجمون وصاحوا قائلين «القاهرة». والقاهرة اصطلاح للمنجمين يطلق على المريخ ؛ فلذلك السبب لا تنقطع الدماء والقتال والنزاع والفتن والفساد عن القاهرة المعزية التي سميت بهذا الاسم لوضع أساسها في طالع المريخ»، على حد قول الرحالة التركي أوليا جلبي.

ونتبين من هذه القصة أنها لا تخلو هي الأخرى من زجر الطير والتنجيم عند بناء المدن، على الرغم من أن الرواية ترجع استقرار الغراب على الحبال إلى محض المصادفة. ولكن يحتمل أن يكون المغزى الحقيقي للقصة نوعًا من الزجر للتنبؤ بالفأل الحسن عند إقامة المدينة. وإذا كان لم يذكر هنا شيء عن إقامة محراب للتنجيم على النحو الذي كان شائعًا قبل الإسلام أو في الحضارات القديمة، فإننا لاشك ندرك صلته بتلك التقاليد الوثنية التي اختفت في صدر الإسلام، ولاسيما في العصر الفاطمي، فلم يبق منها سوى المظهر البعيد عن الجانب الديني. ولعل أيضًا الربط بين خراب كل من القاهرة والإسكندرية وبين ظهور الغراب يرجع لبقايا الاعتقاد الشعبي في أسطورية الغراب بما يحمله من دلالات وارتباطه بأحداث تاريخية ذات طابع (مأساوي). فهو طائر تشاءمت به العرب كلها، بل «إن كثيرًا من الشعوب منذ العصور القديمة كانت تحس إزاء هذا الطائر إحساسًا يشوبه التقديس أو الأسطورة»، دون أن يفكر الناس بصيده. ولعل الخيال الشعبي قد استصفى من الأساطير القديمة رمزيتها التي تعززها الخبرة الاجتماعية من أن الغراب قد جلب الخراب والشؤم على الإسكندرية والقاهرة بعدما كانتا في أوج ازدهارهما وبعد انحصار ما كانتا عليه من مظاهر الحضارة والفخامة، وهكذا بدأت أولى خطوات القاهرة عبر الزمن من بوابات الأسطورة.

وعندما زالت الدولة الفاطمية، وجاء صلاح الدين الأيوبي الذي أجهز على ما تبقى منها، بدأ بناء قلعة الجبل لتكون مركزًا للحكم بدلاً من قصور الخلفاء الفاطميين التي احتوت عليها القاهرة، واختار للقلعة موقعًا فريدًا فوق تلال جبل المقطم



جبل المقطم ومشهد الجيوشي من العصر الفاطمي

الصخرية. ومع مرور الزمن أصبح المقطم رمزًا أسطوريًا لا مثيل له استثمر الوجدان الشعبي ملكة الابتكار، وأطلق لخياله العنان كي يبرز مدى التبجيل والتقديس الذي أحاط بجبل القاهرة المقطم. وقد كان الدافع الروحي هو المحرك لخيال الضمير الشعبي الابتكاري فيما يخص المقطم؛ إذ إن في سفحه عددًا لا بأس به من قبور الأولياء والصالحين والصحابة والتابعين. أضف إلى ذلك شيوع العديد من الأخبار عن معجزات وكرامات تنسب إلى عدد من المدفونين بسفحه، بما سمح للخيال أن يشكل تاريخ جبل القاهرة كما يشاء له فيغير الحقائق، ويقيم بناءه الفني كما يحلو له، مبالغًا في محاولته الوصول إلى قلب المتلقي والتأثير فيه. خصوصًا أن المقطم لم يكن مجرد جبل يلفه الصمت والمهابة، وإنما كان مسرحًا للنشاط اليومي للناس بفضل قرافته التي كانت مكانًا للهو والترويح اعتاد الناس الخروج إليه لا سيما في الليالي المقمرة.

وفي أصله يقول (موفق الدين بن عثمان): «هذا الجبل معروف بالمقطم، مأخوذ من القطم وهو القطع، وهو أنه لما كان منقطع الشجر والنبات سُمي بذلك مقطمًا، وقيل: إن المقطم بن بيصر بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام كان عبدًا صالحًا، فتعبد في هذا الجبل، فسُمي باسمه، وقيل: لم يكن في ولد نوح عليه السلام من اسمه (مقطم) والله أعلم».

وقد احتاج البحث عن أصل تسمية جبل المقطم بهذا الاسم لدى المقريزي إلى جهد شيق وشاق معًا، لجأ في بحثه إلى أسلوب النسابة الذي اعتاد عليه المؤرخون في نسبة كل شيء في مصر إلى جد أعلى، متكئًا على الفكر الأسطوري كمرجعية فكرية. فتحت باب «ذكر جبل المقطم» يعرض المقريزي أخبار الجبل الممتلئة بالعديد من السمات الأسطورية الموغلة في القدم، التي ربما كانت متداولة بين الناس ثم خلق الرواة منها، ومن التاريخ ما جمع شتاتها، وشكل بناءها، فاختلط الواقع بالخيال، وما غمض أو نقص في تاريخ الجبل أكملوه بخيالهم. ومن هنا وصل الواقع إلينا يحمل مبالغات تصل إلى حد الإغراب والدهشة، مما يحق لنا أن نطلق عليه الأخبار الأسطورية، فيعرض المقريزي للحدود المكانية للمقطم بقوله: «أوله من الشرق من الصين... ويمر على بلاد (الططر)... ويتصل بجبل الجودي، موقف سفينة نوح عليه السلام، في الطوفان، ولا يزال هذا الجبل مستمرًا من أعمال آمد... حتى يمر بثغور حلب، فيسمى هناك جبل اللكام... حتى ينتهي إلى بحر القلزم من جهة، ويتصل من الجهة الأخرى ويُسمى المقطم، ثم يتشعب ويتصل أواخر شعبه بنهاية الغرب، ويمضي مغربًا إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر...».

فحدود جبل المقطم في الرواية تتسم ببعد أسطوري واضح جعل من هذه الأبعاد الجغرافية تتسم بـ«اللا معقولية»، وهي إحدى سمات الأسطورة، التي امتدت آثارها إلى التأصيل للجبل عند المقريزي وغيره من المؤرخين.

وحرص رواة أخبار جبل المقطم، على إثارة ملكة التخيل لدى المتلقي، واستمرارية عنصر التشويق لديهم في السرد، والوصف والحوار وتطور الأحداث، بأسماء رواة في نسق متسلسل لغرس الإيحاء بمصداقية ما يروى، وإلباسه ثوب الحقيقة - على الرغم من اختلاقه، واتجاهه الأسطوري الواضح - فألصقوا بالأنبياء والصحابة أحاديث تحتاج إلى التيقن من صحتها، لتغير المخيلة الشعبية ما تراه من حقائق، وتقرأ تاريخ جبل المقطم كيفما تريد لا كما أراد الواقع ، فتقول: «مثَّل الله لآدم الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وأنهارها.. ورأى جبلاً من جبالها مكسوًّا نورًا لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة، في سفحه أشجار مثمرة فروعها في الجنة، تُسقى بماء الرحمة، فدعا آدم.. وقال: يا أيُّها الجبلُ المرحوم سفحك جنة، وتربتك مسك، يدفن فيها غراس الجنة، أرض حافظة، مطيعة رحيمة، لا خلتك يا مصر بركة». ونسب الرواة إلى عيسى عليه السلام قوله في إشارة إلى جبل المقطم، «هذه مقبرة أمة محمد ﷺ»، وبالجبل «قبور الأنبياء كيوسف ويعقوب والأسباط».

وتحدث الرحالةُ والمؤرخون عن استمرارية جبل المقطم، وعرضوا لنا المعتقدات الشعبية التي دارت حوله واتسمت بالمبالغة، لدرجة تثير العجب والدهشة حول الجبل، وما نمقه الناس من روايات وخرافات، دون إبداء رأيهم الخاص إلا فيما ندر. وإنما كان الكثيرون يؤيدون ما ورد بشأن الجبل من أخبار وحكايات، انطلاقًا من خلفيتهم الثقافية والفكرية وموقعهم الزمني، مثل قول (ابن ظهيرة): «وفيه من الخاصية العجيبة التي لا توجد في غيره، وهي حفظ أجساد الموتى؛ بحيث لا تكاد تُبْلى إلا بعد دهر طويل..» ، فالميت هناك لا يُبلى، وبه موتى كثيرون بحالهم، ما بلي منهم شيء، وبه قبر روبيل بن يعقوب وقبر اليسع عليه السلام، وقبر عمران بن الحصين صاحب رسول الله ﷺ...». وجنح الخيال الشعبي في قوله «إن الذين يدفنون تحت جبل المقطم يدخلون الجنة بلا عذاب ولا حساب يوم البعث والنشر، وتدل على ذلك أحاديث الأنبياء، إدريس ودانيال وعزيز». ثمة رواية أخرى تقول: «إلى اليوم إذا مرض أحد بمصر مرضًا شديدًا، ونام سبعة أيام في ظل جبل المقطم شُفي بإذن الله...».

وكان للعيون المائية والآبار في القاهرة سحرها وعجائبيتها بل ورهبتها في النفوس على مر العصور، وقد حظيت بعض الآبار شهرة تاريخية ودينية (كبئر المطرية) التي اعتقد الناس في قدسيتها التي اكتسبتها؛ «لأن المسيح عليه السلام اغتسل فيها»، وهي «عذبة وفيها أنواع دهنية لطيفة وليس في جميع الدنيا موضع ينبت شجر البيلسان، وينجع دهنه إلا هناك». وإذا حاولنا الوصول إلى الجذور الأسطورية لبئر المطرية وما بها من مياه، فسنرى شواهدها ودلائلها تشير إلى أي حد تقدسها شريحة كبيرة من الناس أشاعوا حولها أنها «يدخلها المرضى ويرتادونها، للاستشفاء فينالون ما يبتغون، وقد ورد في جميع التواريخ، لا

سيما تواريخ اليونان، أن سيدنا عيسى عليه السلام هاجر مع أمه مريم من مدينة نابلس إلى هذه البقعة، وسكن بها. ويعتقد النصارى أن بئر المطرية هذه قد حضرها سيدنا عيسى وأمه اغتسلا بمائها، كما أن الحوض الراهن من آثارهما». ومن خاصية هذا الماء أن المرء إذا تجرع السم ثم تناول منه قيراطًا واحدًا، فإنه ينجو من فعل ذلك السم وأثره الفتاك. كما أن العقرب أو الثعبان أو أية دابة سامة إذا لسعت الإنسان ولدغته فإن وضع شيء من البيلسان في مكان اللدغ أو أكل الملدوغ شيئًا منه، فلا شك أنه ينجو من فعل السم وأثره. وخواص هذه البئر معتبرة ومشهورة بين الناس، لا سيما بين قرى النصارى؛ إذ يعتقد النصراني أنه إذا لم يأكل البيلسان ولم يدهن به ولو مرة في العمر لا يكون نصرانيًّا صحيحًا». ولا يمكن أن نخطئ الروابط بين هذا الحطام الرمزي في المعتقدات الشعبية وما شاع بين الناس عن وجود نبات سحري مجدد للشباب ومجدد للحياة، ويساعد على تأجيل وقوع الموت للإنسان، أو للبطل في الملاحم والحكايات والقصص الشعبي. وقد أتت فكرة نبات الشفاء تحولاً عن فكرة أسطورية أقدم، وهي فكرة نبات الحياة أو الخلود أو تجديد الشباب، وهو ما نلمحه في بعض نصوص التوراة وبعض الملاحم الشعبية التي تضمنت أفكارًا أقدم ترتبط بالعبادات الطوطمية.

ويتحدث ابن الوردي عن بئر تُسمى «بئر المعظمة»، وهي تسمى بئر العظائم، وهي بالقاهرة، عند الركن المخلق، يقال إنها من آبار موسى عليه السلام، وحُكي أنه طاسة لفقير وقعت في بئر زمزم وعليها منقوش اسم ذلك الفقير، فرجع الفقير مع الركب المصري إلى القاهرة، فجاء إلى البئر المعظمة ليتوضأ منها للتبرك، فطلعت الطاسة بعينها في المستقى، وشهد له جماعة من الحجاج أنهم شاهدوا وقوعها في بئر زمزم». وهكذا حاول الخيال الشعبي أن يجعل له نصيبًا في معجزات (بئر زمزم) وقدسيتها، في محاولة لإثبات أن مياه بئر زمزم المباركة متصلة بآبار القاهرة. ولم يكن ينقصه سوى الشهود على ذلك، فلم يجد سوى الفقراء ليكونوا أداته في تلك الأسطورة؛ لأنهم هم الشريحة المعنية الأولى بها.



أما قلعة القاهرة فكان الغرض من إنشائها هو تحصين القاهرة من احتمال تعرضها للهجوم، ولحماية الحاكم في حالة قيام ثورات ضده أو العصيان عليه، وكانت النقطة الحاسمة الفاصلة في أي صراع فحرص الحاكم على القوة في بنائها مستخدمًا أحجار أهرام الجيزة، وسخر في نقلها وفي عملية البناء مئات الأسرى من الصليبيين، وهدم ما حولها من المساجد والقبور، فلبست أبهى حُلة تليق «بدار الملك الشريف، التي بها تخت المملكة المعروفة الآن بقلعة الجبل، ليس لها نظير في الاتساع، والزخرفة، والأبهة والعلو، تشتمل على سور وخندق وأبراج وعدة أبواب من حديد وهي حصينة جدًّا.



وإن كانت أحجار الأهرام أحد أسباب حصانة القلعة، فلقد تحصنت أيضًا بقوى أخرى مصدرها الخيال الشعبي الخصب الذي رأى أن القلعة محفوظة بطلسمات سحرية غامضة؛ إذ إن «بالقلعة عقارب ولكنها لا تلسع الإنسان، وإن لسعته فليس للسعتها تأثير. ويزول الوجع بعد بضع ساعات؛ لأن هناك طلسمًا؛ وذلك لأن الديوان العتيق للسلطان قلاوون مبني على أربعة وأربعين عمودًا، لا نظير لها في الربع المسكون إلا في أسوان. وطلسم العقرب، صورة عقرب من النحاس الأصفر، معلق من ذنبه على حلقة من الحديد فوق العمود الأيمن في العقد العظيم الذي يجانب منزل التتر، وهي لا تزال واضحة».

لم يكتف الخيال الشعبي في تحصينه للقلعة بطلسم العقرب فحسب، ولكنه حصنها بطلسمات أخرى «كطلسم للثعابين، ولأم أربع وأربعين، وآخر للحمى والقولنج، وثالث للطاعون والكلاب المسعورة.. فالحمد لله ليست في هذه القلعة من حمى الربع، والحمى المحرقة، وإذا قدم مريض بالحمى من سائر البلاد، فأقام بهذه القلعة ثلاثة أيام، شُفي منها بأمر الله؛ وذلك لأن العمود الذي بجانب باب وفيق محمد أغا الحلواني مكتوب عليه ثلاثة أسطر من الوقف هو طلسم الحمى!!..».

أما القصور فقد كانت من أبرز مكونات العاصمة المصرية منذ نعومة أظفارها، ولم تقتصر القصور والمساكن البديعة على القاهرة وحدها، بل شملت مدنًا أخرى، كالإسكندرية التي عرفت بجمال واتساع مبانيها. وكما استأثر حكام مصر بتاريخ هذا البلد الأمين، فإن قصورهم أيضًا جذبت عيون وانتباه الرحالة والمؤرخين والأدباء، وفتحت لنا كتاباتهم وأقلامهم أبواب ودهاليز وقاعات تلك القصور الشاهقة، لنرى فيها حدائق وعمدًا وزخارف وتماثيل وفرشًا وبسطًا، تعكس لنا ثراءها المعماري والزخرفي، لدرجة أوحت للخيال الشعبي أن تلك القصور قد تحصنت بعدد لا بأس به من الطلاسم، التي منحتها هذا القدر الكبير من الأبهة، والنظافة، والرقي، جعلت من القصور وعاء الحياة الاجتماعية للطبقات الأرستقراطية في القاهرة بما يتبع فيها من تقاليد.

ومن تلك القصور، التي جذبت انتباه أقلام الرحالة والمؤرخين، قصر العزيز بالله الفاطمي، الذي بناه سنة ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م، وقيل إن القرآن مكتوب على جدرانه. من خواصه ألا يدخل النمل إليه لطلسم به، ولما ذكر هذا لصلاح الدين الأيوبي قال هذا يصلح أن يكون بيمارستانًا لعلاج المرض في هذا المكان النظيف. وقد وصف ابن جبير هذا القصر بعد أن صار بيمارستانًا بقوله: «وما شاهدناه أيضًا من مفاخر هذا السلطان -صلاح الدين- المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائعة حسنًا واتساعًا...».

وفي تلمسنا للجذور الأسطورية فيما يتعلق بالطلاسم الحافظة لعمران القاهرة سنرى شواهد ودلائل تشير إلى استمرار وقع حوافرها على العقول كمارد جبار. نتلمس خطاها في بعض أسوارنا وأبوابنا وقصورنا التاريخية حتى في العهد الإسلامي،

حين نجد منقوشًا عليه ذلك الرصد السحري لإرهاب العدو، ومنع دخوله. ولا نزال إلى اليوم نجد بعض الناس يتحصنون ضد قوى الشر أو المرض بالحجابات والخرزة الزرقاء المثقوبة.

كما كان للقاهرة ظلالها الواضحة في السير الشعبية العربية؛ وهي ظلال لا تقل عن مثيلاتها في قصص ألف ليلة وليلة . فالقاهرة تبدو في السيرة الهلالية واضحة كل الوضوح بخططها وأسواقها وحماماتها ودكاكينها ومساكنها ونحو ذلك. وفي سيرة الظاهر بيبرس تجسَّد المناخ القاهري اجتماعيًّا وعمرانيًّا ونفسيًّا، فالملحمة مصرية خالصة، وتدور أحداثها الرئيسية في مجتمع القاهرة ويمكن بشيء من التقريب القول: إنّ الطريقة التي يمكنها أن تلقي الضوء لمعرفة المجتمع القاهري في السيرة الظاهرية، ولو بشكل نسبي، هي متابعة السارد وهو يحدد الأماكن الواقعية التي وصل أو أقام فيها الأبطال، أو يسمّي بعض أحيائها وعاداتها، وقلعتها وطريقة بنائها، أو يحدد أسماء حكّامها الحقيقيين في الأزمنة التي حكموا فيها. وسيساعدنا أيضًا، في تحديد هذه الحكايات لغة الحكاية التي تنهل في تركيبتها من لهجة المجتمع القاهري، فالحكايات التي تذكر المدن المصرية أو القاهرة تحتفظ بلهجة عامية، لا تزال معروفة في مصر والقاهرة حتى الآن.

وفي سيرة سيف ابن ذي يزن تبدو أحياء القاهرة المهمة كأسماء أشخاص مصاحبين للبطل، فالروضة هي «ابنة ملك الروض» وما كان من قصتها ومن قصة الخُطاب الذين طلبوها وتمنعها عليهم، وما كان من جواريها ورئيستهم «الحسينية» وهذه الحسينية قد تزوجها بولاق، وبولاق ابن الملك سيف من زوجته «تكرور» «بولاق الدكرور» وغير هذه من الأحياء والأماكن الواقعية التي كانت دلالات الأسماء مجرد خلفية لعالم أسطوري بالفعل وألقت القاهرة عليها بظلالها. وحضورها الطاغي أوجد بالسيرة تشابهًا بين بعض أحداثها وبعض ما جاء في ألف ليلة وليلة من حكايات.


جبل المقطم

القاهرة
مطلع القرن التاسع عشر
قاهرة مفترق الطرق

الدكتور أيمن فؤاد سيد

إذا لم تكن بداية القرن التاسع عشر تمثل تغيرًا جذريًّا في تطور القاهرة، فليس أقل من القول بأنها كانت تحمل إرهاصات هذا التغيير. ففي هذا الوقت قُسِّمت المدينة إلى ثمانية أقسام؛ لتسهيل إدارتها وإشراف الشرطة عليها، وأزيلت أبواب الحارات، واتُخذت إجراءات حاسمة لمكافحة الأوبئة ولنظافة المدينة، وفتح طريق عريض ممهد ومظلل يربط المدينة ببولاق، وفُتِح شارع الموسكي، وزُرِعت الأشجار على جانبي بعض الطرق، وجُففت جزئيًّا بركة الأزبكية، وأزيلت المقابر الواقعة داخل المدينة، وعُدِّلت كثير من المسالك تبعًا للضرورات التي استجدت.



ويصف الرحالة برمسن Bramsen الذي زار القاهرة، بعد ذهاب الفرنسيين في أغسطس ١٨١٤م؛ المدينة بقوله: «إن شوارع المدينة ضيقة وغير مبلطة، وأغلبها مظلل بما يشبه الحصر التي تستند إلى أعمدة خشبية مثبتة في أعلى المنازل، وظيفتها حماية المارة من حرارة الشمس المحرقة. ولا يوجد أي اعتناء بالنظافة أو بالصحة العامة في المدينة. ولقد صادفنا أثناء تجولنا بالمدينة العديد من جثث الكلاب مطروحة في وسط الشوارع بينما تأتي كلاب أخرى لتنهش هذه الجثث، ولا توجد أية شرطة لمراعاة مثل هذه الأمور وشوارع المدينة ملقى بها كل ما يمكن تصوره من أنواع الفضلات والمخلفات التي تكوِّن كيمانًا تسمم جو المدينة».





ولا شك أن وصول محمد علي إلى الحكم في مصر كان نقطة تحوُّل هامة في تاريخ المدينة، بعد أن وطّد مكانته، بعد مذبحة المماليك الشهيرة سنة ١٨١١م. وقد بدأ محمد علي باشا في القاهرة نوعًا من الخدمات البلدية يتمثل في كنس ورش وتنظيف الشوارع وإنارتها. وفي إطار هذه الخدمات أمر في سنة ١٢٢٩ هـ/ ١٨١٦ م بهدم الدور والمساكن التي يخشى من تهدمها، وأن يعاد تعميرها خاصة عند بركة الفيل وجهة الحبانية وببولاق على النيل. كما أمر في السنة التالية بكنس الأسواق ومواظبة ريها بالماء وإيقاد القناديل على أبواب الدور وأن يخصص لكل ثلاثة حوانيت قنديل، وكان محتسب القاهرة يتابع تنفيذ هذه الأوامر بنفسه. وفي سنة ١٢٣٣ هـ/ ١٨٢٠م نادى المحتسب في القاهرة وأمر الناس بقطع أراضي الطرقات والأزقة حتى العطف والحارات غير النافذة. وقد قام أرباب الحوانيت والبيوت بأنفسهم بقطع الأرض وأعمال الحفر ونقل الأتربة. وقد انعكست نتيجة هذه الأعمال على الصحة العامة؛ حيث ندرت الأوبئة بعد هذه السنة (ويُعد الوباء الذي حدث سنة ١٨٣٥م استثناءً من ذلك). ومن أجل العناية كذلك بالصحة العامة عمل محمد علي على تركيز الصناعات الأساسية التي بدأ بإدخالها في منطقة السبتية شمال شرق بولاق، كما أزال الأنقاض؛ حيث كانت تحيط بالقاهرة في شمالها وفي غربها والتي كانت تعد مواطن للقاذورات وكانت تحمل سمومها إلى المدينة عند هبوب أية ريح عاصفة، وقد أمكن باستخدام الأتربة المنزوحة منها أن يبدأ في سنة ١٨٢٧م بردم البرك التي كانت منتشرة في القاهرة.

وفي إطار هذا العمل أزيلت الكيمان الملاصقة للنيل شمال شرق قصر العيني والمعروفة بتل العقارب في سنة ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٩ م، وكان مسطحها تسعة أفدنة. وقد أزيلت في قرابة عام، وأزيلت كذلك التلال الواقعة بين حي الناصرية ومنطقة جاردن سيتي الحالية ومساحتها ٣٨ فدانًا، وغرست بأشجار الزيتون، وأزيلت أيضًا الأكمة التي كانت تسد الطريق إلى شبرا بجوار قنطرة الليمون، وحُوِّلت إلى منتزه. وفي سنة ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣١م أصدرت الحكومة المصرية قرارًا بتعمير أراضي الخرائب، سواءً أكانت مملوكة أم موقوفة، بعد إحصائها وتحديد مساحتها.

وتركز التغيير الكبير الذي شهدته القاهرة في النصف الأول من القرن التاسع عشر في المواضع الآتية، وكلها فيما عدا القلعة، كانت تقع إلى الغرب من الخليج المصري:

بركة الأزبكية التي ردمها تمامًا في زمن إبراهيم باشا، وحُوِّلت إلى منتزه ضخم في سنة ١٢٦٤ هـ، وصارت من أكبر ميادين القاهرة، وقد أعيد تنظيمها في زمن إسماعيل عند بناء دار الأوبرا المصرية وإزالة جامع أزبك. كذلك ردمت بركة الفيل وجُعل جزء منها متنزهًا، وبُني على الجزء الباقي بعض الدور الفخمة التي أصبحت تكوِّن فيما بعد حي الحلمية وحي درب الجماميز، أما بركة الرطلي الواقعة في شمال المدينة، فقد تم ردمها كذلك وتحويلها إلى منتزه نحو هذا التاريخ تقريبًا.

القلعة التي رأى محمد علي باشا أنها يجب أن تكون ثكنة عسكرية بمعنى الكلمة، فأعاد تحصينها من جهتها الشرقية، وأزال الكثير من المباني التي أقيمت في العصر المملوكي؛ مثل الإيوان الكبير، وبنى لنفسه في موضعها قصرًا هو المعروف بقصر الجوهرة ومسجده الجامع الذي شيَّده على طراز مساجد إسطنبول.

بولاق التي أقيمت بها دارٌ لصناعة السفن ومنطقة صناعية ضخمة، وحلّت محل مصر القديمة كميناء للقاهرة إلى أن أنشئ خط سكة حديد مصر الذي ربط القاهرة بالإسكندرية في سنة ١٨٥٤م.

وأخيرًا حي شبرا في شمال غرب المدينة والذي شيَّد فيه محمد علي قصرًا فخمًا، وربطها بوسط القاهرة عن طريقين؛ أحدهما: يمر بموضع ميدان رمسيس الحالي والآخر: من جهة الأزبكية.

ولتيسير الانتقال داخل القاهرة أمر محمد علي في سنة ١٨٣٥م بإزالة المصاطب الواقعة أمام الدكاكين والتي كان من شأنها تقليل عرض الشوارع وإعاقة السير فيها، ولم يتردد في نزع ملكية المباني التي كانت تعوق سير العربات. وفي الوقت نفسه أمر التجار بطلاء دكاكينهم وإزالة الحصر التي كانت تظلل بعض الأسواق على أن تستبدل، إذا لزم الأمر بأسقف من الخشب. كذلك أمر أهل القاهرة في فترة لاحقة بطلاء وجهات المنازل باللون الأبيض؛ حتى تبدو الشوارع أكثر بهاءً.

وقد كان من الطبيعي أن يصحب هذه التوسعات والتعديلات فتح طرق جديدة أحدها معروف بـ «شارع السكة الجديدة»، والذي كان يصل تُرَب الغريب الواقعة في شرق المدينة بشارع الموسكي عن طريق قنطرة الموسكي الواقعة على الخليج. وهذا الشارع هو المعروف اليوم بشارع جوهر القائد، وقد بدأ العمل فيه في أيام محمد علي سنة ١٢٦٢ هـ/ ١٨٤٦ م من جهة قنطرة الموسكي، واستمر العمل فيه في أيام عباس الأول إلى أن وصل إلى شارع النحاسين (المعز لدين الله)، وتم توصيله إلى جهة الغريب في أيام إسماعيل باشا. يقول علي مبارك: «إن محمد علي استفتى العلماء في فتح هذا الشارع وكيفية عرضه، فأفتوه بأن يجعله؛ بحيث يمر فيه جملان حاملان من غير مشقة، وقدر ذلك بثمانية أمتار. وقد سهَّل فتح هذه الشارع حركة التجارة في قلب القاهرة الفاطمية. والشارع الثاني كان يربط الأزبكية ببولاق قام بتمهيده Le Père كبير مهندسي الطرق والكباري في عهد الحملة (شارع ٢٦ يوليو الآن)، وغرس الأشجار على جانبيه؛ تسهيلاً لمرور فرق الجيش الفرنسي وكان هذا الطريق يصل ما بين بولاق والأزبكية بعد مروره فوق قنطرة المغربي التي كانت تقوم فوق خليج الطوابة (الخليج الناصري القديم) مخترقًا التلال الموازية للخليج والتي حل محلها وبعد إزالتها مدرسة الفنون الإيطالية (ليوناردور دافنشي) ومستشفى الجلاء للولادة.

أما الشارع الثالث فقد كان يربط الأزبكية من جهة العتبة الخضراء بالقلعة عند مسجد السلطان حسن، وهو المعروف بشارع محمد علي (القلعة حاليًا). وقد فتح هذا الشارع في فترة متأخرة نسبيًا ترجع إلى سنة ١٨٧٥ م في عهد الخديوي إسماعيل مما أدى إلى إزالة جامع أزبك والمقابر التي كانت واقعة في مدخل شارع عبد العزيز اليوم.

كذلك فقد كان من شأن فتح شارع حوش الشرقاوي الواقع إلى الشرق من تقاطع باب الخرق أن تزايد النشاط الاقتصادي لهذه المنطقة وربط بينها وبين حي الداودية خارج باب زويلة، ونشطت فيه تجارة الجباسين والمرخمين التي مازالت علامة مميزة لهذا الحي إلى اليوم.



بركة الأزبكية



مسرح الأزبكية





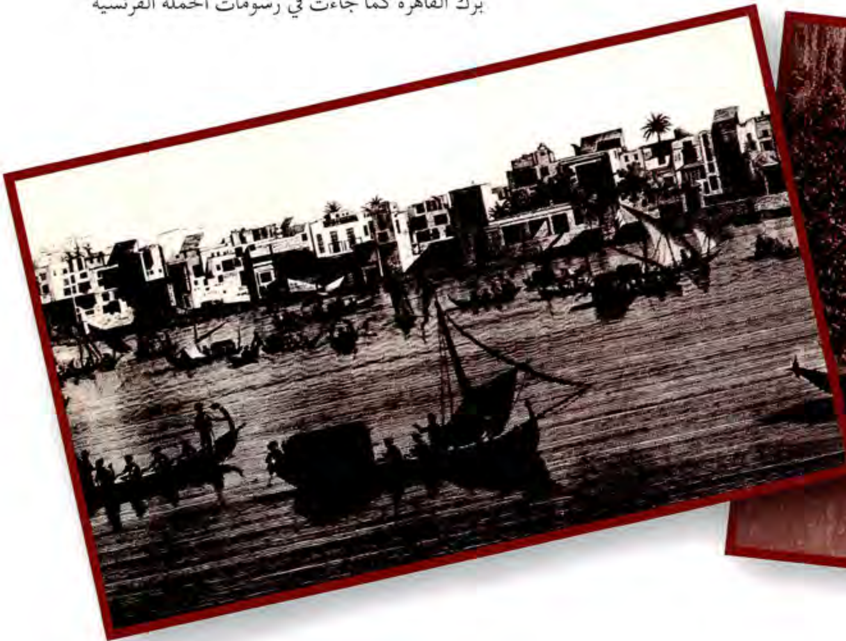
ولاشك أن فتح شارع محمد علي وإنشاء قصر عابدين قد ميز بين نسيجين عمرانيين مختلفين، فالأحياء الواقعة إلى الشرق من هذا الشارع كانت وما تزال تمثل القاهرة القديمة، أما الأحياء الغربية التي نشأت في أعقاب هذا التحول فقد مثلت نواة المدينة الأوروبية أو المدينة الجديدة التي تطورت وفق نسيج عمراني مختلف كل الاختلاف عن النسيج العمراني للمدينة القديمة.

فقد أدى تركيز المراكز السياسية المتعاقبة بعد انتقالها من القلعة في الجانب الغربي للمدينة (قصر عباس الأول ثم قصر عابدين)، وامتزاج ذلك مع الأحياء الأرستقراطية التي قامت على الأرض الناتجة من ردم بركة الفيل (شارع نور الظلام وشارع السيوفية) إلى عزل هذه الأحياء عن الأحياء الشعبية القديمة كحي ابن طولون وحي السيدة زينب. كذلك فقد نشأت أحياء جديدة في هذه الفترة كحي الفجالة في الشمال بالإضافة إلى حي الإسماعيلية الذي اختطه الخديوي إسماعيل بين الطريق الموصل من القاهرة إلى بولاق شمالاً، وترعة الإسماعيلية الآخذة من النيل وساحل النيل إلى القصر العيني غربًا، وشارع القصر العالي والخليج المصري جنوبًا وسور المدينة القديم شرقًا.

أما الخليج المصري فقد كان يعتبر في عصر محمد علي كالعمود الفقري لمدينة القاهرة لذلك فقد اعتنى بقطع ما على جانبيه من الأرض وتنظيفه حفاظًا على الصحة العامة. وكان الخليج يخترق القاهرة من الجنوب إلى الشمال ويقسمها إلى قسمين، وكان يخرج من النيل عند مجرى العيون الحالي ويسير نحو الشمال الشرقي ثم ينعطف نحو الشرق الجنوبي حتى يصل إلى قناطر السباع (ميدان السيدة زينب حاليًّا)، ثم يعود إلى سيره نحو الشمال الشرقي مارًّا غربي بركة الفيل ثم غربي درب الجماميز ثم غربي باب الخرق، ثم يخترق سور القاهرة عند باب الشعرية ويسير خارج القاهرة إلى جامع الظاهر بيبرس، ومن هناك يسير بين الحقول والمزارع إلى ناحية الزاوية الحمراء والأميرية وسرياقوس والخانكاه. وفي سنة ١٨٩٦م، زال هذا الخليج تمامًا من حياة القاهرة، وصارت المدينة متصلة بعضها ببعض من صحراء المماليك شرقًا وحتى النيل غربًا بعد أن تم ردمه في هذه السنة ليسير في مكانه ابتداءً من ميدان السيدة زينب وحتى ميدان باب الشعرية الحالي؛ أول خط للترام في القاهرة.

وعلى ذلك فإننا يجب أن نتصور أمامنا دائمًا، ونحن ندرس القاهرة، وجود الخليج؛ لأن امتداد المدينة وتكورها واتساعها على مدى تسعة قرون ارتبط بوجوده. فكل ما يقع شرق الخليج (شارع بورسعيد اليوم) هو القاهرة الأصلية متصلاً بها في جنوبها القطائع الطولونية ومصر العتيقة. أما ما يقع في غربه فهو امتدادات للمدينة بعد أن ضاقت بسكانها، حتى بعد إنشاء أحياء كالحسينية والريدانية شمال السور الفاطمي، وبعد أن تراجع النيل وانحسر إلى الغرب مسافة تبلغ أكثر من نصف كيلو مترًا كاشفًا عن أراضٍ جديدة زحف عليها العمران وخاصة منذ عصر الناصر محمد بن قلاوون في أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي متمثلاً أولاً من ناحية الشمال في جزيرة الفيل التي أصبحت فيما بعد بولاق، والأراضي الواقعة شمال وجنوب بركة الأزبكية وعلى جانبي الخليج الناصري والتي حلت محلها فيما بعد أحياء ميدان رمسيس والفجالة وقنطرة الدكة شمال هذه البركة، وباب اللوق وعابدين وجاردن سيتي جنوب غرب هذه البركة، وهي الأحياء التي تمثل أحياء القاهرة المحدثة والتي نشأت ونمت على الأخص في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديَّين.


حديقة الأزبكية


برك القاهرة كما جاءت في رسومات الحملة الفرنسية





ميدالية
الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة

تمنح لأفراد القوات المسلحة الذين خدموا فيها مدة ٢٠ عامًا على الأقل، إذا كانوا قد أدوا أعمالهم بأمانة وإخلاص. وهي من طبقتين؛ الأولى: من الفضة، والثانية: من البرونز، وتخصص الأولى للضباط والثانية لصف الضباط والعساكر.

والميدالية مستديرة الشكل بقطر ٣,٧ سم. وقد نقش على وجه منها شعار جمهورية مصر العربية في داخل دائرة تحيط بها عشرون نجمًا. ونقش على الوجه الآخر «جمهورية مصر العربية - الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٩ م». وتعلق الميدالية على الجهة اليسرى من الصدر بشريط من الحرير وسطه أبيض اللون بعرض ٢٥ مللم تحف به حاشيتان، كلٌ منهما تتكون من اللون الأحمر فالأبيض ثم الأسود وبعرض ملليمترين لكلٍ من الألوان الثلاثة.





بمناسبة رحلات شم النسيم

٣٢ صنفاً ممتازاً

مربات . خضروات . عصير . فواكه بالشراب (كومبوت) . شربات



Kaha قها



فول مدمس FOUL MÉDAMÈS

شركة النصر للأغذية المحفوظة قها

مصانع قها ومديرية التحرير

وجبة شهية

المكتب بالقاهرة:
٤٣ شارع عبد الخالق ثروت
تليفون { ٧٦٨٣٠ ٧٦٨١٧

الوكلاء:
سالم سعيد باحكيم - أسمرة
محلات الياس بخيت - عمان
احمد ومحمود أبوغزالة - الكويت

سرى.. هو سرك



لم يعد بينهما من سر ..
يستعملان دائما البري
كادوريسين، وهذا ما ي
مرناً مضيئاً يتألق بالص
على أن مفعول كادوري
عند جعل الشعر لماعا
ينفث فيه حيوية و
يزيدانه تألقا وبهاء

وينفرد بريانت
باحتوائه العناصر
لتجميل الشعر والم
فى نفس الوقت. ا
الوحيد الذى يتب
الاربعة الحاسمة فى

العوامل الأربع

- زيت كادوريسي
- الفيتامين
- الكولسترول



٣ ألوان
أزرق سماوي للسمراوات
ذهبي للشقراوات
كريستال للأولاد

براڤو كادوريسين

البريانتين
اللمَّاع
كادوريسين

CADO

جروبى

تناولوا وجباتكم

بمطعم جروبى الفاخر

بميدان سليمان باشا

هواء مكيف تليفون ٥٣٢٨٧



جروبى
٤٦ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة
ت ٤٦١٩٤ / ٥ س ت ٧٦٦٨٦

GROPPI
46 ABDEL KHALEK SARWAT CAIRO
Tel. 46194/5 R.C.76686

هرم منكاورع

أيمن منصور

منكاورع هو خامس ملوك الأسرة الرابعة، تولى العرش بعد وفاة أبيه الملك خعفرع. ولقد اشتهر هذا الملك في كتابات المؤرخين القدماء بصفات التقوى والورع والطيبة، وذلك على عكس الحال مع أبيه وجده، حتى إن هيرودوت امتدحه أكثر من أي ملك آخر، وقال عنه إنه سبق في عدالته جميع الملوك السابقين. وذكر مانيتون في تاريخه أن الملك منكاورع حكم فترة ٦٣ عامًا، وهي بالطبع فترة طويلة ويصعب تصديقها، غير أن بردية تورين تعطيه مدة حوالي ١٨ أو ٢٨ عامًا، حيث إن البردية ليست واضحة في هذا الجزء. ويميل كثير من العلماء إلى الأخذ ببردية تورين، ولذلك يرجحون أن الملك منكاورع قد حكم فترة حوالي ١٨ عامًا أو تزيد قليلاً.



المجموعة الهرمية للملك منكاورع

هذه المجموعة الهرمية هي آخر المجموعات الهرمية في جبانة الجيزة، وتوجد في الناحية الجنوبية من الهضبة المرتفعة المشيد فوقها تلك المجموعات. وهذه المجموعة لم تكتمل في عهد صاحبها، وإنما أنهى جزءًا كبيرًا منها خلفه الملك شبسسكاف، وذلك باستخدام الطوب اللبن بعد أن قام بتعديل التخطيط على نطاق واسع.

هرم الملك منكاورع

أكثر أهرامات الجيزة تواضعًا من حيث الحجم والضخامة، فارتفاعه أقل من نصف ارتفاع هرم أبيه خعفرع. ويمتاز هذا الهرم في الوقت الحالي باحتفاظه بجزء كبير من كسائه الخارجي المصنوع من أحجار جرانيتية ضخمة. يرى البعض أن هذا الكساء الفخم كان تعويضًا عن صغر حجم الهرم. ويبلغ ارتفاع الهرم الأصلي حوالي ٦٦,٥٠ م، ويبلغ طول ضلع قاعدته المربعة حوالي ١٠٣,٤م، وزاوية ميله ٢٥َ ٢٠ ٥١ْ.

وشيد هذا الهرم فوق أحد الأجزاء غير المستوية من الهضبة. وقد اضطرهم ذلك إلى استخدام كتل كبيرة من الحجر الجيري المحلي لتسوية المكان الذي شيد فوقه الهرم بعد ذلك. ويبلغ الجزء المحتفظ بالكساء الخارجي الآن حوالي ١٦ مدماكًا من المداميك السفلى. وهذا الجزء أحجاره غير مصقولة مما يدل على أن أحجار الكساء الخارجي لهذا الهرم كانت تصقل بعد وضعها في مكانها من الهرم وليس قبل ذلك.

وهذا الهرم مثله مثل باقي الأهرامات المصرية تعرض على مر الزمن إلى كثير من عمليات التخريب، ونزع الكساء الخارجي، ومحاولات الهدم للحصول على الأحجار الكبيرة. وتظهر آثار هذه المحاولات في الناحية الشمالية من الهرم، ولكن يبدو أن من حاول هذه المحاولات قد أصابه اليأس، فترك الهرم، وقرر الحصول على الأحجار من محاجرها الأصلية.

الهرم من الداخل

يوجد مدخل هرم منكاورع في الواجهة الشمالية، وذلك على ارتفاع ٤ م عن سطح الأرض. ويتميز هذا المدخل بأن أحجار الكساء الجرانيتية مصقولة بعناية على جانبي هذا المدخل، وليست مثل باقي أجزاء الكساء. ويؤدي هذا المدخل إلى ممر منحدر بزاوية ميل قدرها ٢َ ٢٦ْ، ويصل طول الممر إلى ٣١ م، وهذا الممر مبطن بأحجار جرانيتية حتى يصل إلى صخر الهضبة. ونجد بعده دهليزًا قصيرًا مبطنًا بالأحجار أيضًا، ويؤدي هذا الدهليز إلى ممر أفقي مزود بثلاثة متاريس حجرية ضخمة، ويؤدي إلى غرفة الدفن والتي تتميز جدرانها المواجهة للممر بوجود دخلات وخرجات كنوع من الزخرفة. ويوجد بين هذه الغرف والمتاريس الثلاثة بابٍ من الجرانيت ذو أسطوانة علوية وعتب، وأقيمت المتاريس كلٌ منها بعيدًا عن الآخر، مما دعا إلى الاعتقاد بأنه كان يوجد سقف جرانيتي بينها في مستوى سقف الممر.

وداخل الغرفة السابقة عثر كلٌّ من «برنج» و«فيز» على تابوت خشبي مكتوب عليه: «أوزيريس» ملك مصر العليا ومصر السفلى منكاورع له الحياة إلى الأبد المولود في السماء ابن «نوت» وريث «جب» المحبوب منه تمد أمك «نوت» جناحيها فوقك باسمها سر السماء لقد جعلتك معبودًا باسمك الإله يا ملك مصر العليا ومصر السفلي منكاورع له الحياة إلى الأبد».

ومن هذا النص يذهب الاعتقاد بأن هذا التابوت الخشبي كان خاصًا بالملك منكاورع وعثر داخل التابوت على بقايا مومياء رجل، ربما كان هو منكاورع نفسه.

وفي أعلى الجدار الشمالي لهذه الغرفة يوجد ممر يمتد إلى أعلى من الشرق إلى الغرب، ويبدو أن المشروع الأول لبناء الهرم أصغر حجمًا مما هو عليه الآن، وهذا الممر كان هو ممر المدخل في المشروع الأول. وعندما قرر الملك تغيير حجم الهرم، ترك هذا الممر ونحت الممر الثاني، ولذلك فإن الممر القديم لا يؤدي إلى شيء حاليًا بسبب أحجار البناء الضخمة التي أغلقت مدخله بعد تكبير حجم الهرم.

وفي الناحية الغربية من غرفة الدفن وفي الغرفة، نجد ممرًا مكسوًا بالجرانيت يؤدي إلى سلم يؤدي إلى حجرة بها ست نيشات في جدرانها. وفي الناحية الغربية منها، نصل إلى غرفة الدفن الثانية، وهذه الغرفة كسيت تمامًا بالجرانيت، ولها سقف منحنٍ نحت من أسفل على هيئة عقد مدبب أو سقف مقبّى. وداخل هذه الحجرة عثر «برنج» و«فيز» على تابوت من حجر البازلت وعلى جدرانه زخرفة على هيئة واجهة القصر، وهي من خصائص ومميزات توابيت الدولة القديمة، وكان يحيط بغطائه كورنيش؛ للأسف غرق هذا التابوت مع السفينة التي كانت تحمله عند خليج «بسكاي» أمام شواطئ إسبانيا. ويبدو أن العمل في بناء هذا الهرم لم ينته في عهد صاحبه الملك منكاورع وإنما أكمل بعض أجزائه وخاصة الكساء الخارجي خلفه وابنه الملك شبسس كاف.

ويقع إلى الجنوب من هرم منكاورع ثلاثة أهرامات صغيرة غير كاملة بعض الشيء، قام بفحصها ودراستها كلٌ من «برنج» و«فيز» عام ١٨٣٧م.

والهرم الشرقي من الأهرامات الثلاثة مشيد بكتل ضخمة من الحجر الجيري، وهو ذو قاعدة مربعة يبلغ طول كل ضلع من أضلاعها ٣٦ م، ويصل ارتفاع الهرم الحالي حوالي ١٠ م، ويبدو أن جزءًا من هذا الهرم كان مكسوًّا بالجرانيت الأحمر. ويوجد مدخل هذا الهرم وكما هو معتاد في الواجهة الشمالية منه، ويؤدي هذا المدخل إلى ممر هابط يؤدي بدوره إلى حجرة الدفن، وداخل هذه الحجرة، وفي الناحية الغربية منها يوجد تابوت من حجر الجرانيت الأحمر مثبت في أرضية الحجرة. وفي الناحية الشرقية من هذا الهرم توجد آثار مقصورة قرابين «هيكل»، وهذه المقصورة مشيدة من الطوب اللبن. ويعتقد بعض علماء الآثار أن هذا الهرم خاص بزوجة الملك منكاورع الملكة «خع - مرر - نبتي»، ولكن لم يعثر حتى الآن على ما يؤكد هذا الاعتقاد.

والهرم الأوسط من الأهرامات الثلاثة مشيد من الحجر الجيري، ويبدو أنه شيد على طراز الهرم المدرج أو الهرم ذي الطبقات؛ حيث يظهر من بقاياه أنه كان عبارة عن أربع درجات «طبقات» كبيرة مُلئ ما بينها بالأحجار المحلية من الحجر الجيري. وهذا الهرم ذو قاعدة مربعة، طول كل ضلع من أضلاعها ٣٦ م، وارتفاع الهرم الآن ٩ م. ويبدو أن هذه الهرم لم يتم تكسيته مثل سابقه؛ حيث لم يعثر على أية بقايا تدل على أنه كان له كساء خارجي. ومدخل الهرم في واجهته الشمالية، ويؤدي إلى ممر هابط في نهايته حجرة الدفن. وداخل هذه الحجرة عثر «برنج» و«فيز» على تابوت صغير من الجرانيت كان بداخله مومياء لامرأة صغيرة السن، وحتى الآن لا يعرف لمن هذه المومياء.





والتي لم يعثر بداخلها على أي شيء يدل على أنها استخدمت للدفن في أي يوم من الأيام. وكان لهذا الهرم مثل سابقيه مقصورة قرابين في الجهة الشرقية منه، مشيدة من الطوب اللبن والتي اختفت تمامًا الآن. ويعتقد الدكتور أحمد فخري أن الهرم ربما كان هو الهرم الجانبي في مجموعة الملك منكاورع الهرمية.

المعبد الجنائزي

المعبد الجنائزي للملك منكاورع حالته الراهنة أفضل بكثير من باقي آثار معابد الدولة القديمة، ويبدو مما تبقى من هذا المعبد أنه صُمِّم على أساس جعله فخمًا إلى حدٍّ بعيد؛ حيث بدأ المهندسون بناءه باستخدام كتل هائلة من الحجر الجيري ربما وصلت زنة الواحدة منها إلى ٣٠ طنًّا. وكان التصميم الأصلي أن يتم تكسية جدرانٍ هذا المعبد بألواح ضخمة من الجرانيت الأسود، وذلك في كلٍّ من وجهيها. ولنا أن نتخيل مدى روعة هذا البناء إذا اكتمل على هذا الشكل، ولكن للأسف لم يتم ذلك؛ حيث توفي منكاورع قبل الانتهاء منه، مما اضطر خلفه إلى إتمامه باستخدام الطوب اللبن بدلاً من الحجر.

تخطيط المعبد

يتجه محور هذا المعبد من الشرق إلى الغرب، ومدخله يوجد في الواجهة الشرقية له، وهذا المدخل يؤدي إلى ممر طويل مشيد من الطوب اللبن. ونصل في نهاية هذا الممر إلى فناء متسع كبير في منتصف المعبد، وجدران هذا الفناء تم تكسيتها بالطوب اللبن ثم طبقة أخيرة من الحجر الجيري. ومن المحتمل أن صفًّا من الأعمدة كان يحمل سقف رواق يحيط بهذا الفناء في التصميم الأصلي للمعبد، وتم استبداله بشكل يمثل دخلات وخرجات في الكساء الأخير لجدران الفناء.

وفي منتصف هذا الفناء كان يوجد حوض وقناة صغيره لتصريف المياه، وفي الناحية الغربية من هذا الفناء نجد صالة متسعة يحمل سقفها ستة أعمدة من الجرانيت. وفي النهاية الغربية لهذه الصالة نجد درجتين نصل بعدهما إلى حجرة طويلة ضيقة «مزار» على المحور الطولي للمعبد ربما خصصت هذه الحجرة لتمثال الملك في الهيئة الأوزيرية. وفي الناحية الجنوبية من هذه الحجرة الطويلة جزء خالٍ يبدو أنه لم يُبْنَ مطلقًا، وإن كان الظن يتجه إلى أن هذا الجزء كان مخصصًا لمجموعة من المخازن الخاصة بالأدوات الجنائزية المستخدمة داخل المعبد.

وفي الزاوية الشمالية الغربية لصالة الأعمدة، نجد ممرًّا يؤدي في نهايته إلى فناء الهرم. ويوجد في الجدار الشمالي لهذا الممر مدخل يؤدي إلى خمس حجرات صغيرة، ربما كان ضمن مخازن المعبد.

أما الجزء الخلفي للمعبد وهو الواقع بين المعبد الجنائزي والهرم، فهو عبارة عن مقصورة «هيكل» قرابين، وقد عثر على بقايا الأرضية الجرانيتية المربعة لهذه المقصورة، وهي عبارة عن



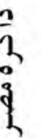


هرم منكاورع من الدخل



وعثر داخل هذه الحجرة على اسم الملك منكاورع. ويبدو من طريقة الكتابة أنها كتابة أحد عمال المحاجر التي قطعت منها أحجار هذه الحجرة. وفي الناحية الشرقية من الهرم كان يوجد هيكل صغير مشيد بالطوب اللبن، لكنه اختفى الآن تمامًا.

أما الهرم الأخير من الأهرامات الثلاثة وهو الموجود في الناحية الغربية، فلا يختلف كثيرًا عن الهرم السابق؛ حيث إنه مشيد من كتل ضخمة من الحجر الجيري على طراز الهرم المدرج، وهو مشيد على أربع درجات. ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدته المربعة حوالي ٣٦ م، ويصل ارتفاعه الحالي إلى ٩ م، ومدخل الهرم يوجد في واجهته الشمالية. وهذا المدخل يؤدي إلى ممر منحدر يؤدي إلى ردهة صغيرة ثم حجرة الدفن،





فناء صغير به حفرة مستطيلة ربما كانت مكانًا للوحة أو مائدة قرابين، ويسبق هذا الفناء حجرة صغيرة مسقوفة لها مدخل جانبي. وعلى أية حال فإن هذا البناء لم ينفذ بارتفاع أكثر من الأساس، وعدله شبسس كاف. وفي الناحية الشرقية لهذه المقصورة توجد بقايا أعمدة من الحجر الجيري، وفي الناحية الشمالية كان يوجد بعض الحجرات، وهذه الأجزاء شيدت في الأسرة السادسة.

وبالرغم من اختفاء كثير من أجزاء المعبد فإن بقاياه تدل على عظمة تصميمه الأصلي، والذي وضع في حياة منكاورع، والذي لم يستطع ابنه وخليفته تنفيذه كما أراد والده، فاضطر إلى أن يتمه على عجل مستخدمًا الطوب اللبن.

معبد الوادي

يقع معبد الوادي الخاص بالملك منكاورع بالقرب من المقابر الحالية الخاصة بقرية نزلة السمان، وتغطي هذه المقابر جزءًا منه. ويبدو أن هذا المعبد لم يكن الملك منكاورع قد أنشأ منه شيئًا يذكر حتى وفاته، فأمر «شبسس كاف» بتشييده من الطوب اللبن فيما عدا أعمدته وأعتاب أبوابه وبعض أجزاء من أرضيته والتي كان لابد من أن تبنى بالحجر.

تخطيط المعبد

شيد هذا المعبد على محور طولي يمتد من الشرق للغرب، ويوجد مدخل المعبد في الواجهة الشرقية له. وهذا المدخل يؤدي إلى ردهة صغيره يحمل سقفها أربعة أساطين، وتتصل هذه الردهة بدهليز يتجه بعرض المعبد من الشمال للجنوب. ويؤدي هذا الدهليز إلى أربع حجرات على كل جانبي الردهة ذات الأساطين. ويتصل الدهليز السابق بدهليز آخر يمتد بطول المعبد في الناحية الجنوبية من المعبد، ويؤدي إلى الجزء الخلفي من المعبد. وفي منتصف الجدار الغربي للردهة ذات الأساطين يوجد مدخل يؤدي إلى فناء المعبد الكبير، وأرضية من الفناء من الطوب اللبن وكذلك جدرانه، والتي كانت مزينة بدخلات وخرجات. وفي منتصف هذا الفناء المتسع وعلى محور المعبد يوجد طريق أرضيته من الحجر الجيري، وجنوب هذا الطريق يوجد حوض من الحجر الجيري متصل بقناة حجرية مغطاة لتصريف المياه.

في النهاية الغربية للفناء الكبير نجد مدخلاً يؤدي إلى صالة كان يحمل سقفها ستة أساطين، وفي نهايتها درجتان نصل بعدهما إلى هيكل المعبد وهو يقع على محور المعبد الطولي تمامًا. وهذا الهيكل يتصل من كلا جانبيه بسلسلة من الحجرات المتصلة. وفي حجرات الجهة الجنوبية من الهيكل عثر ريزنر Reisner على مجموعات التماثيل الرائعة المنحوتة من حجر الإردواز، والتي يتكون كلٌ منها من ثلاثة تماثيل معًا، كلٌ منها يمثل منكاورع ومعه «حتحور» وسيدة تمثل أحد الأقاليم، وهذه التماثيل تعتبر من روائع الفن في عهد الدولة القديمة كلها.

الطريق الصاعد

وهذا الطريق الموصل بين معبد الوادي والمعبد الجنائزي كان شأنه شأن باقي المجموعة الهرمية لمنكاورع؛ حيث بدأه منكاورع، فقام برصف جزء كبير من أرضيته بكتل كبيرة من الحجر الجيري المحلي، ثم أتمه بعد وفاة منكاورع رجال «شبسس كاف»، فأتموا بقية أرضيته وجدرانه بالطوب اللبن، وتم تسقيفه باستخدام جذوع النخل.

ويبدو أنه لم يكن من الممكن الوصول من معبد الوادي إلى الطريق الصاعد مباشرة، ولذلك قاموا ببناء دهليز طويل يدور حول معبد الوادي في الناحية الجنوبية منه إلى أن يصل إلى آخر المعبد ثم يتجه نحو الشمال ثم يتجه مرة أخرى إلى الغرب ليتصل بالطريق الصاعد والذي يمتد حتى يصل إلى مدخل المعبد الجنائزي.





زيارة السيد محمد أنور السادات للولايات المتحدة الأمريكية في فبراير ١٩٦٦ م

عمرو شلبي

نشرت مجلة المصور في عددها الصادر ١١ مارس ١٩٦٦ تقريرًا عن زيارة السيد أنور السادات؛ رئيس مجلس الأمة آنذاك، ورئيس جمهورية مصر العربية فيما بعد للولايات المتحدة الأمريكية، ولقاء الرئيس جونسون؛ تلك الزيارة التي استمرت ١٠ أيام. وإليكم تفاصيل الخبر مع مجموعة من الصور تنشر لأول مرة، من أرشيف ذاكرة مصر المعاصرة.

٩٦ ساعة قضاها السيد أنور السادات؛ رئيس مجلس الأمة في واشنطن مزدحمة بنشاطات ولقاءات على أعلى المستويات السياسية في العاصمة الأمريكية قبل أن يطير إلى نيويورك ثم كاليفورنيا ويزور مدينة والت ديزني «الصناعية» الأمريكية الشهيرة. ويشاهد خيالات صناعية حول قطارات المستقبل الطائرة، والسيارات التي تسير في أعماق الماء، وحيوانات الغابة التي انقرضت منذ آلاف القرون وقد صنعت من البالون، والحيوانات التي تخيلها الخيال الأمريكي في غابات القرون القادمة

وفي نيويورك تحدث أنور السادات إلى الطلبة المصريين حول لقائه بالرئيس الأمريكي، ووزير خارجية أمريكا، ومساعده ريموندهير الذي كان يمثل بلاده في القاهرة خلال العدوان الثلاثي علينا، ومع المستر ماكورماك؛ رئيس مجلس النواب الأمريكي، ورؤساء اللجان البرلمانية، ولقائه بالمستر يوثانت في نيويورك. وكان لقاء الطلبة المصريين برئيس مجلس أمتهم في نادي مركز كارنيجي الدولي؛ حيث دام لقاؤهم به عدة ساعات.



السيد أنور السادات والسيدة حرمه في مطار الولايات المتحدة الأمريكية ٢١ فبراير ١٩٦٦ م.



السيد أنور السادات والسيدة عقيلته يحييان مستقبليهما.



السيد أنور السادات ولقاء مع الرئيس الأمريكي ليندن جونسون، ويظهر خلفهما من اليمين السيد مصطفى كامل؛ سفير مصر بأمريكا، والسيد أحمد حسن الفقي؛ وكيل وزارة الخارجية.







السيد أنور السادات ولقاء مع أحد أعضاء الكونجرس.

السيد أنور السادات والسيدة حرمه في زيارة مدينة ديزني لاند.



السيد أنور السادات والأمين العام للأمم المتحدة، يوثانت.



السيد أنور السادات، والمستر دين راسك؛ وزير خارجية الولايات المتحدة يطلان على منظر لمدينة واشنطن من شرفة وزارة الخارجية الأمريكية.



السيد أنور السادات يدلي بتصريحات للتليفزيون الأمريكي خلال الزيارة.



الشيخ الذهبي

شهيد الاغتيال في مقابل التطرف

الدكتورة صفاء خليفة





دائمًا ما يحتل الأزهر الشريف مكانة عظيمة في نفوس المسلمين في كافة أرجاء العالم الإسلامي، باعتباره منارة العلم والإسلام المعتدل، ومنارة التنوير، والمدافع عن الإسلام ضد الغزو الخارجي والحملات الضارية التي يشنها أعداء الدين. ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، آية كريمة من كتاب الله تعالي توضح أن ما جاء به الإسلام إنما هو برنامج عمل إصلاحي للبشرية كافة، وأنه ينظر إلى مخالفيه نظرة قوامها التسامح والبر. ولعلماء الأزهر فضل كبير على العالم الإسلامي باعتباره المنارة العلمية الرائدة في نشر الإسلام الوسطي. ونتناول هنا مثالاً لشيخ أزهري جليل استُشهد في سبيل أفكاره المعتدلة؛ هو الشيخ محمد حسين الذهبي.

والدكتور محمد حسين الذهبي من مواليد ١٩ أكتوبر ١٩١٥ م في مدينة مطوبس بمحافظة كفر الشيخ، والتحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، وتخرج فيها ١٩٣٩م. ثم حصل الذهبي على الدكتوراه بدرجة أستاذ في علوم القرآن عام ١٩٤٦م من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وذلك عن رسالته «التفسير والمفسرون» التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسية في علم التفسير. كما عمل الدكتور الذهبي أستاذًا في كلية الشريعة بجامعة الأزهر، وأُعير عام ١٩٦٨ م إلى جامعة الكويت. وعقب عودته عام ١٩٧١ م، عُيِّن أستاذًا في كلية أصول الدين، ثم عميدًا لها ثم أمينًا عامًا لمجمع البحوث الإسلامية. وفي ٢٥ إبريل ١٩٧٥ م، أصبح وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر، وذلك حتى نوفمبر عام ١٩٧٦ م.

ومن أهم مؤلفاته: (التفسير والمفسرون، والوحي والقرآن الكريم، والاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم.. دوافعها ودفعها، وتفسير ابن عربي للقرآن.. حقيقته وخطره، والإسرائيليات في التفسير والحديث، وأثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، وعناية المسلمين بالسنة، ومدخل لعلوم الحديث والإسلام والديانات السماوية).

وفي مصر اهتزت الحياة السياسية خلال حقبة السبعينيات بأنشطة عنف قامت بها ثلاث جماعات إسلامية؛ وهي على التوالي: منظمة التحرير الإسلامي «جماعة الكلية الفنية العسكرية»، وجماعة التكفير والهجرة «جماعة المسلمين»، ومنظمة الجهاد «الجهاد الجديدة». كل هذه الجماعات الثلاثة ولدت في جو المحنة المصري بعد حرب ١٩٦٧ م. ويعتبر كثيرون أن هذه الجماعات، مذهبيًّا وتنظيميًّا، خرجت من تحت عباءة «الإخوان المسلمين».

والحق إن جذور الجماعة قد بدأت في السجن الحربي، وتسلسل تفكيرهم حتى انتهى بهم الأمر إلى (تكفير الناس بالجملة)، ابتداءً بالذين يتولون التحقيق معهم، ثم من يأمرهم بهذا من الحكام، ثم من يسكت على هؤلاء الحكام من الشعب. وقد اعتزلت هذه الفئة في السجون، وكانوا لا يصلون معهم، وقام بينهم وبين الإخوان المسلمين جدل طويل، وقد اتهم شكري مصطفى – أمير جماعة التكفير ومؤسسها – قادة الإخوان بالخيانة العظمى؛ لأنهم لم يقاوموا رجال الأمن والشرطة، ووافقوا على ما يتعرض له إخوانهم في السجون.

الشيخ محمد حسين الذهبي في شبابه

الشيخ الذهبي ومواجهة الفكر بالفكر

كان الشيخ الذهبي دائم التواضع لا يمتلك فدانًا واحدًا، وبالرغم من ذلك كان دائم المساعدة لأهالي بلدته، وكان الشيخ الذهبي رجلاً هادئًا، مطمئن النفس، قليل الكلام، تحول منزله إلى ملتقى إسلامي تدار فيه ندوات دينية مفتوحة كل ليلة، ويستطيع أي مسلم حضورها بغير دعوة أو سابق معرفة. وعند اختياره وزيرًا للأوقاف رفض تعيين حراسة خاصة على باب منزله. وظلت أحوال منزله كما هي بشكل لم ينظر أحد من خلاله بأن في هذا المنزل وزيرًا. كانت آراؤه دائمًا تعبر عن الموقف السليم للإسلام، كان يدعو لتفسير جديد للقرآن الكريم بعيدًا عن المغالطات القديم منها والحديث ومحاربته للإسرائيليات، وكان ذلك آخر مشروع علمي تبناه هو (تنقية التراث الإسلامي وتجريده من الإسرائيليات التي أدخلت عليه)، ودعا بأن يكون للمسجد دوره القديم كمكان جامع.

جاء الدكتور الذهبي كوزير للأوقاف في فترة صعبة جدًّا كانت قد ظهرت فيها جماعات إرهابية، وكان من بينها جماعة التكفير والهجرة وغيرها، وكان عليه أن يواجه بالفكر، وكان معترضًا على تدخل الأمن في معالجة الجماعات الإسلامية المتطرفة، ويرى أن هذه مهمة رجال الدعوة، وأن الفكر يجب أن يواجهه فكر، وأن الإسلام قوي ولا يمكن أبدًا أن يهتز أمام أية دعوات مهما كانت منحرفة ومهما كان لها منطق براق يجذب الشباب، فرجال الدعوة الإسلامية قادرون على أن يواجهوا هذه الدعوات. وبذلك كان فضيلته هو أول من تصدى لأفكار هؤلاء فكريًّا خاصة بعد أن انتبهت الصحافة إلى نوعية الحياة الغريبة التي تعيشها الجماعة، فشنت عدة حملات صحفية خلال عامي ١٩٧٤ م، و١٩٧٥ م. وكان ضمن المشاركين في هذه الحملة وزير الأوقاف الشيخ الذهبي.

لم يختر شكري مصطفى - أمير جماعة التكفير ومؤسسها - الشيخ الذهبي عفويًّا، بل اعتبره مسئولاً بدرجة كبيرة عن تلفيق تلك الصورة السلبية لجماعته، فقد أصدر الذهبي وقت أن كان وزيرًا للأوقاف كتيبًا صغيرًا في يوليو عام ١٩٧٥ م، ناقش فيه فكر الجماعات المتطرفة، التي عرفت وقتها في الصحف المصرية باسم «أهل الكهف» أو «جماعة الهجرة»، ونسب فكر هذه الجماعة إلى الخوارج، وأثبت فيه - بالاستناد إلى القرآن والسنة - فساد الزعم الذي أطلقوه بأنهم وحدهم المسلمون، وأن المجتمع حولهم يعد مجتمعًا كافرًا. فقد قال في هذا الكتاب: «إن حكم الناطق بشهادتي أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أن نعتبره مسلمًا تجري عليه أحكام الإسلام. وليس لنا أن نبحث في مدى صدق شهادته، وإنما نوكل سريرته إلى الله عالم السرائر». ثم ناقش فكرة اشتراطهم العلم بمفهوم الشهادتين حتى يصبح المرء مسلمًا؛ فأكد أنه لم يرد شرعًا يفيد هذا الربط، وأن من يشترط هذا الربط يكون قد أتى بشرط زائد، وخالف هَدي رسول الله، واستحدث في الدين ما لم يرد به نص من كتاب الله أو سنة نبيه. وتناول الشيخ الذهبي اشتراط أن تكون أعمال الشخص مصدقة لشهادته حتى يحكم بإسلامه، فأثبت فساد هذا الشرط. وقال: «إن رسول الله عرف الإيمان بالله وحده بأنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واعتبر النطق بالشهادتين عملاً».

كما تناول الشيخ الذهبي قضية اعتبار الجماعة مرتكب «الكبيرة» كافرًا، فأورد عن ابن عمر أن الكبائر تسع، هي: (قتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، ورمي المحصنة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف (القتال)، والسحر، والإلحاد في البيت الحرام). وقال: إنه من الثابت أن الرسول قد أتى له الزاني والزانية والسارق وشارب الخمر، فلم يعتبرهم كفارًا، ولم يقم عليهم حد الردة (القتل). وهناك خلاف في أن التوبة تسقط الذنوب». واعتبر الدكتور الذهبي تكفير الجماعة للمسلم بأنه فسوق واستدل بحديث للرسول يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»، وقال: «إنه يجب التفرقة في العقائد بين الأصول والفروع، وأصول الإيمان ثلاثة هي: (الإيمان بالله، والإيمان بالرسول، والإيمان باليوم الآخر)، وما عدا ذلك فروع لا تكفير فيها، إلا في حالة إنكار حكم ثبت عن النبي؛ مثل إنكار وجوب الصلوات الخمسة». ثم نبه الدكتور الذهبي في نهاية كتابه إلى مدى الخطر الذي يتعرض له بعض الشباب دينيًّا وفقًا لما ورد في الكتاب من حجج وبراهين. وعلى هذا النحو وقف الدكتور الذهبي في نفس موقف المرشد العام للإخوان المسلمين؛ المستشار الهضيبي في كتابه: «دعاة لا قضاة»، الذي رد به على فكر المودودي وسيد قطب.

اختطاف واغتيال الذهبي

نتيجة لآراء الشيخ الذهبي وكتاباته في الصحف وانتشارها بين الناس؛ تزايدت الانشقاقات بين أعضاء الجماعات المتطرفة، فقرر شكري مصطفى القيام بعملية كبرى تعيد التوازن المفقود للجماعة. وكانت هذه العملية هي اختطاف الشيخ الذهبي في مساء ٣٠ يونية ١٩٧٧ م، من منزله في شارع السايس في منطقة حدائق حلوان جنوب القاهرة؛ حيث اعتبره شكري مصطفى كافرًا يستحق القتل، وقرر اختطافه واتخاذه رهينة يقايض بها على الإفراج عن أعضاء جماعته المحكوم عليهم. وعندما شعر شكري مصطفى بأن الحكومة تماطل ولن تستجيب لمطالبه، فأصدر أوامره بقتل الدكتور الذهبي، وسلم أداة القتل لأحمد طارق. وقد توجه أحمد طارق إلى الشقة المحبوس فيها الذهبي، ومعه حقيبة وتكليف مكتوب موجه «للإخوة» الموجودين في الشقة لتنفيذ القتل، ودخل غرفة الذهبي وأطلق عليه النار. واكتُشفت جثة الذهبي يوم ٧ يوليو١٩٧٧م، في العقار رقم ١٥ شارع حسن محمد بالهرم، وكان جثمان الشهيد ممددًا فوق أحد















الأسرة بغرفة النوم داخل الفيلا مرتديًا جلبابه الأبيض الذي كان يرتديه لحظة اختطافه، حافي القدمين وبجانبه نظارته الطبية، وعثر على طلقة رصاص واحدة فارغة فوق الفراش!

تُوفي الدكتور الذهبي ولا يملك قبرًا يُدفن فيه

عاشت أسرة الشهيد لحظات رهيبة بعد سماعها إذاعة لندن قبل منتصف الليل تذيع نبأ تنفيذ مختطفيه تهديدهم وقتله، وكان جميع أفراد الأسرة مجتمعين حول الراديو لسماع الأنباء من الإذاعات الخارجية، فانهارت ابنته الصغرى وظلت تصرخ بشكل هستيري، وحاول شقيقها تهدئتها دون فائدة، وتجمدت الدموع في عين الأم التي ظلت تردد كلمة (يارب)، وقام نجل الدكتور بالاتصال بالمسئولين للتأكد من صحة الخبر. وبعد سماع خبر الوفاة تذكرت العائلة أن المرحوم الشيخ الذهبي لا يملك قبرًا يُدفن فيه، ففي الشهور الأخيرة قبل وفاته اشترى قطعة أرض في مدافن الإمام الشافعي؛ ليقيم عليها مدفنًا لأسرته، وعلى الفور قام فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي؛ وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة، فنزل سريعًا؛ ليعد ترتيبات بناء القبر في أسرع وقت ممكن؛ حتى يستطيعوا دفن جثة الشيخ بعد عملية التشريح التي تمت بواسطة الطب الشرعي.

وفي ٧ يوليو ١٩٧٧ م، شُيِّعَت جنازة الدكتور محمد حسين الذهبي من جامع الأزهر بحضور عدد من المسئولين، وبمشاركة شعبية كبيرة وغاضبة معلنة عن تعاطفها مع الشيخ الذي أُريق دمه هدرًا. وأصدر الرئيس السادات قرارًا بإحالة القضية والمتهمين إلى المحكمة العسكرية، بينما واصل ضباط الداخلية بحثهم عن أمير الجماعة الهارب. وفي الثامن من يوليو قادت المصادفة إلى القبض على شكري مصطفى.

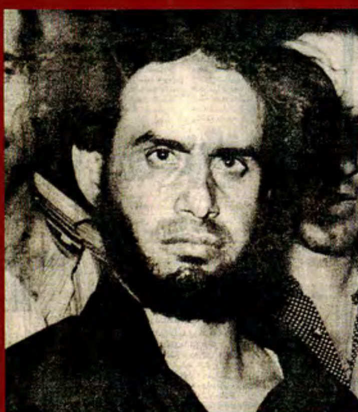








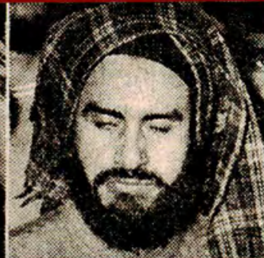
جنازة الشيخ الذهبي







شكري مصطفى زعيم الجماعة أثناء القبض علية



شكري مصطفى
زعيم الجماعة



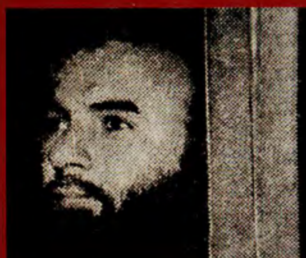
ماهر بكري
فيلسوف الجماعة



أنور مامور صقر
نائب الزعيم



أحمد طارق عبد العليم
الضابط قاتل الذهبي



مصطفي غازي
قيد الذهبي بالسلسلة

بُرُوتُوكُولَاتٌ وَمَرَاسِمُ

مراسم استقبال البعثات الخاصة في العهد الملكي



استقبال بعثة خاصة من قبل رئيس دولة أجنبية

عند إيفاد بعثة خاصة من قبل رئيس دولة أجنبية، يخطر الممثل السياسي لهذه الدولة وزير الخارجية بالغاية من هذه البعثة والتاريخ المزمع مجيؤها فيه، لعرض ذلك على الملك. ومن ثم يبلغ وزير الخارجية ذلك إلى كبير الأمناء بخطاب ملتمسًا فيه العرض على الملك، حتى إذا صدرت الموافقة أبلغها كبير الأمناء إلى وزير الخارجية ليخطر بها الممثل السياسي للدولة المذكورة.



ثم يبلغ الممثل السياسي وزير الخارجية أسماء أعضاء البعثة وصفتهم ومراتبهم؛ حتى يضع ديوان كبير الأمناء برنامج زيارة البعثة بالاتفاق مع إدارة المراسم بوزارة الخارجية ورئيس الهيئة السياسية الأجنبية التي تمثل دولة البعثة. ثم تؤلف بعثة شرف مصرية، وتكون من حيث العدد مماثلة بقدر الإمكان لعدد ومرتبة أعضاء البعثة الأجنبية، كما تشتمل على عدد من العسكريين يماثل ما قد يكون منهم في البعثة الأجنبية.



إذا كان وصول البعثة بطريق البحر، فعند رسو السفينة تصعد إليها بعثة الشرف المصرية وبرفقتها ممثل دولة البعثة أو من يقوم مقامه ليتولى واجبات التقديم المعتادة (بالملابس الردنجوت). ويكون في استقبال البعثة على رصيف الميناء: المحافظ ومدير البلدية وقائد عام بحرية الملك والقائد العسكري للمنطقة وحكمدار البوليس. ويصطف على رصيف الميناء حرس من الجيش بعلمه وموسيقاه لتأدية التحية، بينما تعزف الموسيقى النشيد الوطني لدولة البعثة، ويفتش رئيس البعثة حرس الشرف إذا شاء. ثم يقدم رئيس بعثة الشرف المصرية للمستقبلين لرئيس البعثة الأجنبية، ويقدم هذا بدوره أعضاء بعثته للمستقبلين.

يشرف المندوب بالقصر بالاشتراك مع مندوب من السفارة أو المفوضية على مرور أمتعة البعثة من الجمارك ونقلها إلى القطار والمحافظة عليها حتى تبلغ الفندق أو دار الضيافة المعدة لنزولهم. ويقل البعثة قطار خاص إلى العاصمة، ويصحبهم

ممثل دولتهم السياسية أو من يقوم مقامه وأعضاء بعثة الشرف المصرية. ويصطف بمحطة العاصمة حرس شرف من الجيش بعلمه وموسيقاه لتأدية التحية، بينما تعزف الموسيقى النشيد الوطني لدولة البعثة، ويفتش رئيس البعثة حرس الشرف إذا شاء أيضًا.

ويكون في استقبال البعثة بمحطة العاصمة: المحافظ والمدير العام للبلدية والقائد العسكري لمنطقة القاهرة وحكمدار البوليس ومدير إدارة المراسم. ثم يقدم رئيس البعثة المصرية المستقبلين لرئيس البعثة الأجنبية، ويقدم هذا بدوره أعضاء البعثة الأجنبية للمستقبلين. ويفتح الباب الملكي بالمحطة لخروج أعضاء البعثة الأجنبية.

تقل أعضاء البعثتين سيارات ملكية أو حكومية إلى الفندق أو دار الضيافة المعدة لنزولهم، ويكون ترتيب ركوبهم في السيارات كالآتي:

في السيارة الأولى: رئيسا البعثتين.

في السيارة التالية: الأعضاء بحسب مراتبهم.

وتصطف قوات من البوليس على جانبي الطريق من المحطة إلى الفندق أو دار الضيافة. وبعد الوصول إلى دار الضيافة تستأذن بعثة الشرف المصرية في الانصراف، ويبقى مع البعثة الأجنبية مندوب عن وزارة الخارجية. وتذهب البعثة الأجنبية في يوم وصولها وبصحبتها ممثل دولتها السياسي إلى وزارة الخارجية؛ لزيارة وزير الخارجية، وليقدم إليه رئيس البعثة صورة من أوراق اعتماده، ملتمسًا مقابلة الملك ليقدمها إليه.

تنتقل البعثة على القصر الملكي؛ ليقدم رئيسها أوراق اعتماده إلى الملك بنفس القواعد والمراسم المقررة لتقديم أوراق الاعتماد الخاصة بالسفراء أو بالوزراء المفوضين بحسب مرتبة رئيس البعثة المذكورة في أوراق اعتماده. ولا يحضر هذه الحفلة أعضاء بعثة الشرف المصرية. وبعد أن يقدم رئيس البعثة أوراق اعتماده يلقي بين يدي الملك كلمة عن مهمته ويرد عليها الملك. وبعد الانتهاء من تقديم أوراق الاعتماد يذهب وزير الخارجية ومعه مدير المراسم بملابس التشريفة والنياشين لزيارة البعثة، وتقوم البعثة بملابس التشريفة والنياشين برد الزيارة لوزير الخارجية. ويقوم أعضاء البعثة بترك بطاقاتهم على: رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب والوزراء ورؤساء الهيئات السياسية الأجنبية بمصر.

في مساء يوم تقديم أوراق الاعتماد تقام في القصر الملكي مأدبة عشاء رسمية بملابس السهرة والنياشين تكريمًا لأعضاء البعثة، يدعى إليها: رئيس مجلس الوزراء، ورئيسا مجلسي الشيوخ والنواب، والوزراء، ورؤساء البعثات السياسية، ووكيل وزارة الخارجية، وأعضاء بعثة الشرف المصرية، وكبار رجال القصر، وقائد عام القوات المسلحة، ورئيس هيئة أركان حرب الجيش، ومحافظ القاهرة، ومدير عام البلدية، وقائد قسم القاهرة، ومدير إدارة المراسم. وتعقب هذه المأدبة حفلة ساهرة يدعى إليها باقي أعضاء السلك السياسي الأجنبي وكبار رجال جالية دولة البعثة الأجنبية وكبار رجال الدولة ورجال القصر.

ترافق بعثة الشرف المصرية البعثة الأجنبية في زياراتها للمؤسسات الواردة في برنامج الزيارة. ويقيم الممثل السياسي لدولة البعثة مأدبة عشاء تكريمًا لأعضاء البعثة في المفوضية تتبعها حفلة ساهرة. ويتبع في توزيع البعثة عند سفرها القواعد والمراسم التي اتبعت عند استقبالها. وللملك إذا شاء أن يوفد مندوبًا إلى محطة القاهرة لاستقبال البعثة الأجنبية عند حضورها ولتوديعها عند سفرها. وقد جرت العادة بمنح نياشين لأعضاء البعثة الأجنبية، ولا يتحتم مبدأ التبادل.

الاستقبال الرسمي لرئيس من رؤساء الهيئات السياسية عند تقديمه نيشانًا للملك

إذا كُلِّف ممثل دولة أجنبية بأن يقدم نيشانًا مهدى من رئيس دولته إلى ملك مصر فيجب عليه إخطار وزير الخارجية بذلك. ويبلغ وزير الخارجية ذلك إلى كبير الأمناء بخطاب بعرضه على الملك، حتى إذا صدرت الموافقة أبلغها كبير الأمناء إلى وزير الخارجية مع تحديد يوم المقابلة الرسمية، فيخطر وزير الخارجية ممثل الدولة الأجنبية بذلك. ويجري استقبال توديع ممثل الدولة الأجنبية بنفس المراسم المقررة عند تقديم أوراق الاعتماد. ولا يحضر هذه الحفلة أعضاء بعثة الممثل السياسي.



قضية فلسطين

قراءة في المراسلات السرية
بين جمال عبد الناصر وجون كينيدي

شيرين جابر







إن مصر تواجه في هذه المرحلة الحالية من تاريخها عديدًا من التحديات الداخلية والخارجية، وبالرغم من عظم هذه التحديات فإنه تظل القضية الفلسطينية في مقدمة الاهتمامات المصرية، ومواجهة العدو الإسرائيلي في مقدمة هذه التحديات. ومواجهة هذا العدو تتطلب منا العمل على بناء وإعداد الإنسان العربي علميًّا وخلقيًّا، والأم الواعية هي التي تعي المخاطر وتعمل على محاربتها بشتى الطرق، وأول هذه الطرق هي بناء الإنسان الصالح الواعي القادر على مواجهة الصعاب والتغلب عليها.

لقد كانت ثورة يوليو ثورة على الاستعمار، ولم تقف حرب عبد الناصر عند حدود وطنه، وإنما امتدت لتشمل جميع أرجاء العالم العربي، وخاصة فلسطين، ولم يكن عبد الناصر في حربه ضد الاستعمار مدفوعًا بمجرد الرغبة في الحرب؛ وإنما لأن الاستعمار كان دائمًا لمصر بالمرصاد.

لقد اتجهت عديد من الدراسات إلى أن عبد الناصر لم يعتبر القضية الفلسطينية قضية محورية ذات أولوية خاصة أو ملحة يتعين بحث جوانبها المختلفة وإيجاد حل فوري لها، ولكن على عكس هذا التصور فقد أولى عبد الناصر القضية الفلسطينية اهتمامًا كبيرًا وعمل على حل لها سواء من خلال الحروب، أو من خلال محاولات التسوية السلمية عن طريق المفاوضات السرية المباشرة وغير المباشرة. إن عبد الناصر كان داعية للسلام في المقام الأول وهو ما يتضح من خلال خطابه إلى الرئيس جون كينيدي في عام ١٩٦١ م، حول القضية الفلسطينية. وإليكم النص الأصلي للخطاب:

عزيزي الرئيس جون. ف. كينيدي

لقد تلقيت بمزيد من الارتياح والتقدير خطابكم إلي بتاريخ ١١ مايو ١٩٦١ م، والذي تفضلتم فيه بإثارة بعض جوانب المشكلة ذات الأهمية البالغة، والخاصة، بالنسبة للأمة العربية على اختلاف شعوبها، وهي — دون شك - قضية فلسطين.

وإذا كنت تأخّرت في الرد على هذا الخطاب فلقد كان باعث التأخير هو إعطاؤه ما يستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتأنية.

ولعل مبعث الارتياح الذي شعرت به حين تلقيت خطابكم، كما أشرت في العبارة الأولى من هذا الخطاب، أنني كنت أقلّب النظر في فكرة الاتصال بكم بشأن نفس هذه القضية التي أثرتم في خطابكم بعض جوانبها.

ولقد كان فكري في الاتصال بكم يرتكن على مجموعة من العوامل:

أولها: أنّ ما تمّ بالفعل من تبادل المراسلات بيننا في عدد من مختلف المشاكل العالمية كان واضحًا في دلالته على أنكم تحاولون فتح أبواب التفاهم — وإبقاءها مفتوحة- بينكم وبين عدد من الشعوب الأخرى التي تولي قضايا السلام اهتمامها الأول؛ حفاظًا على هذا السلام وصونًا للجنس البشري مما يتهدده من أخطار، وفي اعتبارنا أن الوصول إلى التفاهم المشترك بين الشعوب، هو في الوقت نفسه إقامة فرص للسلام على أمتن الأسس وأصلها.

ثانيها: أن قضية فلسطين وما تفرع عنها من مشاكل هي بجانب كونها من القضايا الرئيسية التي تمس السلام العالمي مباشرة في عصرنا، فهي في الوقت نفسه ذات اتصال وثيق بالعلاقات ما بين شعبينا، وأحب هنا أن أضيف أنني لا أربط احتمالات التفاهم بيننا بضرورة التقاء وجهات نظرنا في هذه المشكلة على نحو كامل التطابق، وإنما الذي أقوله هو أنه من الأمور الحيوية في هذا الصدد أن تكون لدى كل منّا صورة واضحة للحقيقة، بقدر ما يمكن أن يبدو منها إنسانيًّا من وراء ضباب الزمان، ودخان الأزمات.

ثالثها: أنّني تابعت باهتمام كل مرة تعرضتم فيها لمشكلة سواء فيما ألقيتم من خطابات في الكونجرس حين كنتم تمثلون ولاية «ماساشوستس»، أو ما صدر عنكم خلال حملة انتخابات الرئاسة، ولست أخفي عليكم أنني قبل أن يصلني خطابكم كنت — من تأثير فكرة الاتصال بكم في موضوع فلسطين — أحاول أن أستشف صورة لموقفكم من خلال سطور كتابكم عن استراتيجية السلام، ولقد كان إحساسي بما قرأت عنكم مباشرة، أو بما نسب إليكم في هذا الموضوع- يجعلني أعتقد أن هناك زوايا كثيرة في المشكلة تستحق مزيدًا من الضوء.

على أنني برغم هذا كله تصورت أنه ربما كان المناسب أن أرجئ الاتصال بكم في هذا الأمر باعتبار ما كان يواجهكم من مشاكل ضخمة ذات طابع ملح وعاجل في الميدان الدولي.

ومن هنا – كما قلت لكم- أثار ارتياحي أنكم أخذتم المبادرة وكتبتم إليّ في بعض زوايا الموضوع الذي كنت أريد أن أحدثكم من جانبي في صورته الكاملة كما نراها هنا على الناحية العربية منها، ولست أريد هنا أن أملأ هذا الخطاب بالوثائق ومعانيها، والقرارات وأحكامها، فذلك كله قد يكون له مجاله، وإنما أنا هنا أحاول أن أنقل إليكم تصورنا العام للمشكلة. واسمح لي هنا أن أؤكد لك أن هذا التصور لا يقوم على أساس عاطفي، وإنما ما حدث ماديًا، هو أساسه الوحيد.

سيادة الرئيس

اسمحوا لي أن أضع أمامكم هذه الملاحظات التالية، لعلها تساعد مترابطة على توضيح صورة سريعة للمشكلة:

١- لقد أعطى من لا يملك وعدًا لمن لا يستحق، ثم استطاع الاثنان «من لا يملك ومن لا يستحق»، بالقوة وبالخديعة، أن يسلبا صاحب الحق الشرعي حقه، فيما يملكه وفيما يستحق.

تلك هي الصورة الحقيقة لوعد بلفور، الذي قطعته بريطانيا على نفسها، وأعطت فيه- من أرض لا تملكها، وإنما يملكها الشعب الفلسطيني – عهدًا بإقامة وطن يهودي في فلسطين.

وعلى المستوى الفردي - يا سيادة الرئيس – فضلاً عن المستوى الدولي، فإنّ الصورة على هذا النحو تشكّل قضية نصب واضحة تستطيع أي محكمة عادية أن تحكم بالإدانة على المسئولين عنها.

٢- ومن سوء الحظ يا سيادة الرئيس أن الولايات المتحدة وضعت ثقلها كله في غير جانب العدل والقانون في هذه القضية، مجافاة لكل مبادئ الحرية الأمريكية والديمقراطية الأمريكية، وكان الدافع لذلك مع الأسف هو اعتبارات سياسية محلية لا تتصل بالمبادئ الأمريكية، بل لا تتصل بالمصلحة الأمريكية على مستواها العالمي. ولقد كانت محاولة اكتساب الأصوات اليهودية في انتخابات الرئاسة هي ذلك الدافع المحلي، ولقد قرأنا لأحد السفراء الأمريكيين السابقين في المنطقة أن سلفكم المستر هاري س.ترومان لما ألقى بكل قوته، وفيها بالقطع قوة منصبه الخطيرة، على رأس الأمة الأمريكية ضد الحق الواضح في مستقبل فلسطين - لم يكن له من حجة إزاء الذين لفتوا نظره من المسئولين إلى خطورة موقفه غير قوله:

هل للعرب أصوات في انتخابات الرئاسة الأمريكية؟

٣- إن خرافة الانتصار العسكري الذي تحاول بعض العناصر أن تقيم على أساسه حقًا مكتسبًا للدولة الإسرائيلية في فلسطين – ليست إلا وهمًا صنعته الدعايات التي بذلت جهدها لإخفاء معالم الحقيقة.

ولست أريدك أن تسمع – في هذا المجال – شهادتي كجندي عاش هذه التجربة بنفسه، وإنما وثائق الأمم المتحدة وتقارير وسيط الهدنة الدولية في فلسطين، ولجانها – تستطيع أن تثبت لك أن القوات الإسرائيلية لم تستطع احتلال ما احتلته من الأراضي خلال المعارك، وإنما من العجيب أن ذلك كله تم خلال الهدنة، ولقد كان ما فعله العرب في ذلك الوقت أنهم أحسنوا الظن بالأمم المتحدة، وتصوروها قوة قادرة على فرض العدل، خصوصًا إذا كان العدل أساسًا هو كلمتها وقرارها، ولقد ظن العرب أن الجانب الإسرائيلي سوف يعاقب على خرقه لأحكام الهدنة الدولية، وأن ما تسلل إليه من الأرض تحت ستار الهدنة سوف يعاد إلى مكانه الأصلي، ومن سوء الحظ أننا عوقبنا فيما بعد على أن نظرتنا إلى الأمم المتحدة كانت نظرة مثالية تنبع من الثقة.

٤ – إن الخطر الإسرائيلي – بعد ذلك كله – لا يمثل مجرد ما تم حتى الآن من عدوان على الحق العربي، وإنما هو يمتد إلى المستقبل العربي ويهدده بأفدح الأخطار، وإذا ما لاحظتم استمرار الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وتشجيعها وفتح الأبواب أمامها – رأيتم معنا أن هذه الهجرة تصنع ضغطًا داخل إسرائيل لابد له أن ينفجر ويتجه إلى التوسع، ولعل ذلك هو التفسير المنطقي للتحالف القوي بين إسرائيل ومصالح الاستعمار في منطقتنا، فإن إسرائيل منذ قيامها لم تبتعد كثيرًا عن الفلك الاستعماري وكان واضحًا أنها تشعر بترابط مصالحها مع الاستعمار، كذلك كان الاستعمار من ناحيته يستخدم إسرائيل كأداة لفصل الأمة العربية فصلاً جغرافيًا عن بعضها، وكذلك كان يستخدمها كقاعدة لتهديد أي حركة تسعى للتحرر من سيطرته، ولست في حاجة للتدليل على ذلك إلا بتذكيركم بالظروف التي تم فيها العدوان الثلاثي علينا، والتواطؤ الذي سبقه سنة ١٩٥٦ م.

من هذا العرض السريع للصورة في خطوطها العامة أردت أن أقول لكم إن موقفنا من إسرائيل ليس عقدة مشحونة بالعواطف، وإنما هو:

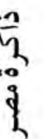
عدوان تم في الماضي؛

وأخطار تتحرك في الحاضر؛

ومستقبل غامض محفوف بأسباب التوتر والقلق، معرض للانفجار في أي وقت.

ولكي أكون منصفًا فإنه يبدو لي أن بعض العناصر العربية قد ساهمت في تصوير المشكلة لديكم باعتبارها شحنة عاطفية، وأذكر في هذا المجال أن سلفكم الرئيس أيزنهاور قال لي عندما كان لي شرف لقائه في نيويورك في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٠ م: إنّ بعض الساسة العرب كانوا يدلون بتصريحات علنية







متشددة في موضوع فلسطين، ثم يتصلون بالحكومة الأمريكية يخففون من وقع تشددهم قائلين إن تصريحاتهم كانت موجهة للاستهلاك المحلي العربي.

وإني لآسف حقيقة أن هذه الأصوات المتخاذلة المترددة استطاعت أن تجد من يسمعها في بلادكم، ومهما تظاهرت بالتصلب في الحق- لم تجد من يسمعها أو يثق بها، ولقد أثبتت الحوادث فيما بعد على أي حال أن هؤلاء الذين خدعوكم لم يتمكنوا من خداع شعوبهم.

سيادة الرئيس

لقد حاولت أن أكون صريحًا إلى أبعد حدود الصراحة في حديثي إليكم، وقد يبدو من أصول اللغة الديبلوماسية التقليدية - أنني جاوزت ما تفرضه اعتبارات المجاملة، ولكنني أؤكد لكم أنه في اعتباري لا يوجد أشرفُ خيرًا - في تكريم الصديق والحفاوة به - من التعبير الصادق كما يحس به صاحبه. ومن هذا الأساس فإني أستأذنكم بعد أن عرضت الصورة - من ناحيتها الإسرائيلية- أن أستطرد للناحية الأمريكية منها.

واسمحوا لي أولاً أن أؤكد لكم أن إيماني العميق —كان ولا يزال- أن الوصول إلى تفاهم عربي أمريكي هدفٌ هامٌّ بالنسبة لنا، يستحق أن نبذل من أجله كل الجهود، ونحاول من أجله ولا نيأس من المحاولة أو نملّ.

ونحن في هذا نصدر عن تتبع واع لمجرى التاريخ الأمريكي، وعن إعجاب عميق بخصائص الأمة الأمريكية، وعن مشاركة مخلصة في كثير من مبادئ النضال التي استهدت بها أمتكم العظيمة في صنع مكانها.

والآن أستأذنكم في إبداء هذه الملاحظات:

١- لقد حاولنا دائمًا، ومازلنا نحاول، ولسوف نُصرُّ دائمًا على المحاولة أن نمد أيدينا للأمة الأمريكية، وأؤكد لكم أنه مما يحز في نفوسنا إلى أبعد الحدود أننا في كثير من الأحيان نجد يدنا معلقة وحدها في الهواء.

ولقد تفضلتم - يا سيادة الرئيس - وأشرتم في خطابكم إلى دور الرئيس وودرو ويلسون، وفرانكلين روزفلت، في بروز دول عربية مستقلة ذات سيادة متكافئة في المجتمع الدولي.

واسمحوا لي أن أقول إن الرئيسين الكبيرين لا يمثلان في بلادنا آمالاً تحققت، بقدر ما يمثلان آمالاً لم تتحقق.

لقد كانت في بلادنا ثورة وطنية عارمة تطلب حق تقرير المصير، ولما أعلن الرئيس ويلسون نقطه الأربع عشرة المشهورة - كان صداها على الثورة الوطنية العارمة في بلادنا قويًّا وفعالاً.

ولقد ذهب وفد يمثل الثورة الوطنية في مصر - في ذلك الوقت - إلى باريس ليحضر مؤتمر الصلح، وينادي بحق مصر في تقرير مصيرها، وكان هذا الوفد يرفع - بين ما يرفع من الأعلام - نفس مبادئ الرئيس وودرو ويلسون ويستند عليها، ولكن الرئيس ويلسون رفض مقابلة هذا الوفد، كما أن هذا الوفد لم يجد فرصة يشرح فيها قضية بلاده أمام مؤتمر الصلح في باريس، ولم يكن أمام هذا الوفد وأمام الشعب الذي أرسله إلى باريس غير المقاومة الشعبية المسلحة ضد الاستعمار، وكانت القوة القاهرة سلاح الاستعمار لقمع الثورة الشعبية خلافًا مع كل دعوى عن لتقرير المصير.

كذلك استطاعت مبادئ الأطلنطي التي أعلنها الرئيس روزفلت سنة ١٩٤١ م عن تحرير الشعوب - أن تشد إليها آمال شعبنا، وربما كان سوء حظنا أن الرئيس روزفلت لم يعش ليرى يوم انتهاء الحرب، حتى تتاح له الفرصة لوضع قوته الضخمة وقوة وطنه وراء المبادئ التي أعلنها وقت محنة الطغيان الفاشيستي.

٢- كانت الصدمة الكبرى في العلاقات العربية الأمريكية - هي غلبة اعتبارات السياسة المحلية الأمريكية، على اعتبارات العدل الأمريكي والمصلحة الأمريكية في تقرير موقفكم من الظروف التي أهدر فيها الحق العربي في فلسطين إهدارًا كاملاً، ولقد سبقت لي الإشارة إلى هذا الأمر حين تعرضت لمشكلة فلسطين من جانبها الإسرائيلي.

٣- احتدم الخلاف بيننا، وزادت حدته ما بين سنة ١٩٥٤ م وسنة ١٩٥٥ م؛ بسبب التباين بين نظرة كل منا إلى مشكلة واحدة، هي مشكلة الدفاع عن الشرق الأوسط.

كان رأينا أن الأحلاف العسكرية، خصوصًا تلك التي تستند على قوى عالمية كبرى، لا تكفل الدفاع عن الشرق الأوسط، وإنما هي تزيد تعرضه للخطر بمقدار ما تزج به إلى الحرب الباردة. وكان رأينا أن الدفاع الحقيقي عن الشرق الأوسط، وأن ميدانه - ليس الخطوط الدفاعية بقدر ما هو الجبهات الداخلية للشعوب. وكان الاستقلال الحر غير المشروط، والاتجاه المجدي إلى التطوير الوطني البناء - هو خير ضمان لسلامة الشرق الأوسط ضد أي عدوان كيفما كان مصدره، ولقد أتيح لي أن أشرح بنفسي موقفنا هذا للمستر جون فستر دالاس؛ وزير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الوقت عندما أتيحت لي فرصة لقائه سنة ١٩٥٣ م في القاهرة.

٤- في غمرة المناقشة الكبرى حول الدفاع عن الشرق الأوسط، وقعت الحادثة التي كانت بمثابة نقطة التحوّل في اتّجاهات الحوادث، وأعني بها الغارة على غزة في فبراير ١٩٥٥ م؛ حيث قام الجيش الإسرائيلي بغارة هجومية وحشية على مدينة غزة الفلسطينية، ولست أريد أن أصف هذه الغارة بأكثر مّا وصفته بها وثائق الأمم المتحدة، وقد وصفتها بأنها غارة «وحشية ومدبّرة»، ومع ذلك فإن وزير الدفاع الإسرائيلي، ورئيس الوزراء الحالي، بعث بتهنئته إلى الذين قاموا بها بناء على أمره. ومواصلته نفس الخطة العدوانية على مصر - في ذلك الوقت

٤- هذه الخطة التي كانت تستهدف الجبهة الداخلية لمصر؛ على حد ما تشهد به الوقائع المتسربة مما يسمونه عملية لافون في إسرائيل، والتي اتضح منها أن الهدف كان تفجير القنابل في بلادنا، وتدمير منشآتنا، وإساءة العلاقات بيننا وبين دول صديقة؛ بينها الولايات المتحدة الأمريكية التي وضع العملاء الإسرائيليون القنابل الحارقة أمام مكاتبها في القاهرة. وفي نفس الوقت كانت هذه الخطة تستهدف خطوط الهدنة كما تجلى في الغارة على غزة.

ولقد دفعنا ذلك إلى الإحساس بأن انهماكنا في عملية التطوير الوطني لا يجدي إزاء العدوان، وتحتم أن نوجه جزءًا من الاهتمام – بجانب التطوير – إلى الاستعداد المسلح لرد العدوان إذا ما تحرك ضدنا.

ولقد كان من هنا أن بدأنا بطلب شراء السلاح من الولايات المتحدة بإلحاح، ولما ووجهنا بالمماطلة ثم بالرفض كان أن اتخذت قرار شراء السلاح من الاتحاد السوفييتي، وأؤكد لك أنني سوف أظلّ أحتفظ بكثير من الوفاء لحكومة الاتحاد السوفييتي، وأتصور أنك لو كنت مكاني لكان ذلك نفس شعورك وأنت ترى التهديد يحيط بوطنك، وتجد في الوقت نفسه أنك لا تملك وسيلة إنزال العقاب بالمعتدين.

٥- كان من أثر ذلك أن مرت العلاقات بيننا بفترة عاصفة، وجرت محاولة تشويه سياستنا الوطنية عن عمد، وتعرضنا لألوان من الحرب النفسية بينها توجيه عدد من محطات الإذاعة السرية دعاياتها المسمومة إلى شعبنا؛ بغية تحويله عن الصمود وراء حكومته الثورية. ثم كانت ذروة الحرب النفسية هنا هي ذلك القرار الذي اتخذ بسحب عرض المساهمة الأمريكية في تمويل سد أسوان العالي، وهو العرض الذي كانت الحكومة الأمريكية قد تقدمت مختارة مشكورة به، ثم تبع ذلك انسحاب البنك الدولي من عملية تمويله، ولم يكن هناك شك في أنّ الطريقة التي تمّ بها سحب هذا العرض كانت تنطوي على كثير مما لا يرضى الشعب العربي في مصر لنفسه أن تتقبله.

٦- قدرنا للولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك موقفها في محاولة إيجاد حل سلمي للمشكلة التي ثارت في ذلك الوقت بعد تأميم شركة قناة السويس، كذلك كان تقديرنا فائقًا للتأييد العظيم الذي لقيته قضية الحرية في بلادنا من جانب الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي، وكان ذلك حينما تكشفت مؤامرة التواطؤ على بلادنا من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، ثم حينما بدأت عملية الغزو – يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ م – في نفس اليوم الذي كان محددًا لبدء المفاوضات في جنيف؛ بغية الوصول إلى حل نهائي على ضوء قرارات مجلس الأمن بشأن قناة السويس. ولقد كان إحساسنا أن الشعب الأمريكي يشعر بموقفنا من ذكريات تجاربه في بيرل هاربور، وصدق إحساسنا، ومن سوء الحظ أن التحسن الكبير الذي طرأ على علاقتنا في ظروف المحنة الدامية بدأ يتعرض لنكسة خطيرة، فإن سياسة الولايات المتحدة اتجهت في أعقاب إنهاء معركة السويس بهزيمة العدوان، إلى عزل مصر ومحاولة تحقيق أهداف العدوان بوسائل سلمية، وكان ذلك عن طريق مشروع أيزنهاور الذي أراد معاملة الشرق الأوسط – على حكم تعبيركم أثناء المناقشة بصدده في الكونجرس الأمريكي – كما لو كان مقاطعة أمريكية.

٧- تعرضت سوريا بعد ذلك لأزمة خطيرة تهدد سلامتها، وكان ذلك بتأثير تجمع عدد من دول حلف بغداد، سواء بمجموعهم كأعضاء منظمة، أو بجهودهم المنفردة، وكان الهدف هو ضرب الجبهة الداخلية الوطنية لسوريا، وهو أمر كان يمكن أن تنتج عنه أوخم العواقب على سلامة الشرق الأوسط كله، ولقد حاولنا مرارًا أن نلفت نظر الحكومة الأمريكية إلى خطورة مثل هذه الجهود الهدّامة من جانب حلف بغداد ودوله.

٨- انهار حلف بغداد، وكان يوم الثورة في العراق – هو اليوم الفاصل في أمره، وبانهيار هذا الحلف انهارت كذلك سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية، وأصبحت الحاجة ماسة إلى سياسة جديدة واعية تستلهم الماضي، وتقدر على مواجهة الحاضر وعلى علاقات المستقبل.

ولقد كان أملنا كبيرًا أن تهيأ الفرصة أمام الولايات المتحدة لتدرس المنطقة على ضوء نظرة جديدة غير متأثرة بالاعتبارات القديمة، وغير خاضعة لارتباطات لا تمثل الأماني الحقيقية للشعوب العربية.

ولقد كان مؤلمًا حقيقة أن لا تسأل حكومة الولايات المتحدة نفسها بعد انهيار حلف بغداد فيما يتعلق بصلة الشعوب العربية به:

«لماذا تحوّلت السياسة الأمريكية إلى أنقاض على هذا النحو؟».

«لماذا اختفى معظم الأصدقاء التقليديين للسياسة الأمريكية، وحكمت عليهم شعوبهم ؟».

«لماذا تقف الولايات المتحدة، وهي دولة قامت على الحرية وعلى الثورة، ضد نزعة الحرية ونزعة الثورة، وتجد نفسها مع القوى الرجعية والعناصر المعادية للتقدم – في صف واحد؟»

٩- بدأت بعد ذلك مرحلة من التحسن في العلاقات العربية الأمريكية، ولكن التحسن كان بطيئًا، وكانت الصدمات تتربص له دائمًا بتأثير دوافع غير أمريكية على الإطلاق، وأذكر منها مقاطعة الباخرة العربية كليوباترا على أرصفة ميناء نيويورك.

ولقد أتيح لي بعد ذلك في سبتمبر ١٩٦٠ م أن ألتقي بسلفكم الجنرال دوايت أيزنهاور، وأن أتحدث إليه في العلاقات ما بين بلدينا وفي تطوراتها، وفي ضرورة النظر إليها على ضوء جديد يتماشى مع ما نتطلع إليه جميعًا من سلام قائم على العدل، ولكن ذلك كان كما تذكرون في أواخر مدة رئاسته، ومن ثم لم يتح للمحاولة الجديدة أن توضع موضع الاختيار.

سيادة الرئيس

وليس معنى بحال من الأحوال أن علاقاتنا خلال هذا كله لم تعش لحظاتها المشرقة.

كان هناك في تاريخ الأمة الأمريكية ما يشدنا إلى كثير من المبادئ الأمريكية، وإلى ما أعطته الثورة الأمريكية للتراث الإنساني من التجارب العميقة ومن الرجال الأبطال.

وكان هناك موقف بلادكم منّا وقت العدوان علينا انتصارًا للمبادئ وهو موقف أشدنا به دائمًا، ولسوف يظل يحظى بعرفاننا مهما كان من تطورات العلاقات بيننا.

كذلك كانت هناك مساعداتكم القيمة لنا عن طريق تصدير القمح، أو عن طريق قروض صندوق التنمية. كذلك لا يفوتني هنا أن أشيد بمساهمتكم القيمة في مشروع إنقاذ آثار النوبة، ولقد كانت رسالتكم إلى الكونجرس في هذا الصدد تحية كريمة تقبلها شعبنا بمزيد من التقدير والرضا.

سيادة الرئيس

لقد كان هدفي من وراء هذا الشرح الطويل لبعض معالم الصورة أن أوضح أمامكم أن قضايا الشرق العربي متصلة ببعضها اتصالاً وثيقًا.

كان هدفي أن أشرح لكم أن حق اللاجئ الفلسطيني مرتبط بحق الوطن الفلسطيني، وأن باقي الأوطان العربية لا يمكن أن تعزل نفسها عن العدوان الذي انقض على واحد منها بسبب واضح؛ هو أن هذا العدوان — فضلاً عن كل ما يعنيه التضامن العربي — يهدد الأوطان العربية الباقية بنفس الخطر ونفس المصير.

ولقد كان هدفي أيضًا أن أشرح لكم أن ما واجهناه من المصاعب في علاقاتنا كان سلسلة متصلة تتشابك حلقاتها، وفي رأيي أنها كانت تخضع لمؤشرات غير أمريكية في كثير من الظروف، وعند هذه النقطة فإني أريد — يا سيادة الرئيس — أن أناشدكم مخلصًا، متوجّهًا إلى شبابكم وإلى شجاعتكم بأنه قد حان الوقت الذي يتعين فيه على الولايات المتحدة أن تفتح عيونها على تطورات الأحداث في منطقتنا على أساس نظرة أمريكية بحتة، لا تتأثر باعتبارات السياسة المحلية الأمريكية وبعمليات حساب الأصوات في الانتخابات، فإن صلات الولايات المتحدة بهذه المنطقة أكبر بكثير من أي اعتبار محلي. وإننا لنشعر من بعيد أن الشعب الأمريكي يجتاز مرحلة من البحث في أعماق النفس يواجه بها ظروف العالم المضطرب واحتمالاته الخطيرة.

وليس أفضل من مثل هذه المرحلة مناسبة يتحرر فيها الفكر من القيود المصطنعة ومن أغلال المصلحة الحزبية القصيرة الأمد، ليكون الموقف المستلهم من المبادئ، والهادف لتحقيق السلامة الأمريكية العليا. ولسنا نشك لحظة أن تطلعكم إلى «الحدود الجديدة» على حد تعبيركم ومحاولاتكم الدائمة لاكتشاف طريق الواجب أمام شعب الولايات المتحدة - سوف يكون عن بواعث الطمأنينة لدى شعوبنا ولدى شعوب كثيرة أخرى تتطلع للشعب الأمريكي بالمحبة والإعجاب.

سيادة الرئيس

تبقى ملاحظة أخيرة أريد أن أضعها بإخلاص وتجرد قبل أن أنهي هذا الخطاب، وهي تتعلق به على أي حال.

لقد حاولت في هذا الخطاب أن أفتح لكم قلبي، وإذا ما خطر لأحد من الذين سوف تتاح لهم فرصة الاطلاع عليه أن اعتبارات السياسة المحلية العربية هي التي أملته فإن ذلك خطأ كبير.

لقد أردت من هذا الخطاب أن يكون لكم، ولا يكون لما يسميه بعض من يدعون الخبرة للاستهلاك المحلي، أو للتعبئة النفسية هنا.

وإذا ما سمحت لي فإني أقول إن الذين تابعوا ما يحدث في بلادنا يعرفون أنني أفضل في جميع الظروف أن أقول لأمتي ما أومن بأن واجبها أن تسمعه.

كذلك فإن موضوع قضية فلسطين لا يحتاج إلى تعبئة نفسية؛ فإن أمتنا كلها تعيش المشكلة، حقيقة واقعة، وليس عقدة عاطفية.

وأؤكد لك — بشرف — أن ما يحكم موقفي ونظرتي إلى قضية فلسطين ليس هو كوني رئيسًا للجمهورية العربية، وإنما الأصل والأساس هنا هو موقفي ونظرتي؛ كوطني عربي، وكواحد من ملايين الوطنيين العرب.

وتقبلوا يا سيادة الرئيس عميق احترامي وتقديري.

جمال عبد الناصر

الإسكندرية، ٢٢ أغسطس ١٩٦١م



اليخت

محروسة

رحلة مع اليخت الملكي

محمود عزت



«ساكنًا أمام قصر رأس التين العريق بالإسكندرية، يرسو اليخت «محروسة» من رحلات طويلة شقها في بحار التاريخ، يحمل على كاهله ذكريات وسجلاً حافلاً للحظات الفرح والألم في عقود عديدة من تاريخ مصر الحديث، ولم يكن يدري الملك فاروق عندما أمر بإصلاح اليخت «محروسة» أنه سيحمله كما حمل جده إسماعيل من قبل إلى نفس المصير! إن «محروسة» أحد القصور الملكية العائمة، بما يحتويه من مقتنيات وأثاث ومشغولات ومفروشات رجع تاريخها إلى ثلاثة قرون مضت من الزمان».



تم بناء اليخت في عهد الخديوي؛ إسماعيل؛ وذلك لاستخداماته الخاصة، ذلك بعد أن أهدى الخديوي اليخت الملكي «فايد جهاد» للسلطان العثماني عبد العزيز خان بمناسبة قدوم السلطان لمصر لتقديم التهنئة لتولي الخديوي إسماعيل عرش مصر. وقد بدأت شركة «SAMOUDA» بلندن بناء اليخت ببدن من الحديد في عام ١٨٦٣م. وتم تدشينه في إبريل عام ١٨٦٥م، وسمي اليخت «محروسة». وكان في ذلك الوقت طوله ٤١١ قدمًا (١٢٥ مترًا) وعرضه ٤٢ قدمًا (١٢ مترًا) وحمولته ٣,٤١٧ طنًا. ويسير بالبخار مستخدمًا وقود الفحم. وكانت وسيلة الدفع عبارة عن بدالات جانبية (طارات). وكانت سرعة اليخت تبلغ ١٦ عقدة. وكان له مدخنتان ومسلح بثمانية مدافع من طراز «أرمسترونج». وسافر طاقم اليخت من المصريين لاستلامه والعودة به إلى الإسكندرية في أغسطس من عام ١٨٦٥م.

ويعتبر اليخت «محروسة» أسطورة حقيقية؛ فلم يسبق أن بُني يخت بهذا الحجم أو حتى ما يقاربه. ويتكون من خمسة طوابق؛ وهي:

الطابق السفلي: يضم الماكينات والغلايات وخزانات الوقود.

الطابق الرئيسي: يضم غرف الجلوس والمطابخ والمخازن والجناح الشتوي والقاعة الفرعونية، إضافة إلى جناح الأمراء والأميرات.

الطابق العلوي الأول: يضم مقدمة اليخت والمخطاف والأوناش وصالة الطعام وصالة التدخين.

الطابق العلوي الثاني: يضم سطح المدفعية والحديقة الشتوية والصيفية والجناح الصيفي والصالة الزرقاء.

الطابق العلوي الثالث «الممشى والعائمات»: حيث يحتوي اليخت على أربعة مصاعد؛ منها المصعد الخاص بالجناح الخصوصي. كما احتوى على جراج خاص بسيارة جلالة الملك ذات اللون الأحمر الملكي.

آنذاك كان يعمل اليخت بمحرك بخاري ضخم يعمل بالفحم الحجري. وكانت سرعته ١٦ عقدة في الساعة. وكان يزيّن اليخت مدخنتان علاوة على ثمانية مدافع طراز أرمسترونج. ففضلاً عن كونها من أساليب الزينة لليخت، فكانت كذلك من وسائل حماية اليخت من أية إغارة بحرية.

زيارة الملك عبد العزيز عام ١٩٤٦



رحلات اليخت «المحروسة»

- في عام ١٨٦٧م استُخدم اليخت لقيادة الأسطول المكون من عشر سفن في نقل الحملة المرسلة لإخماد الثورة بكريت. وفي نهاية العام نفسه سافر الخديوي إسماعيل باليخت «محروسة» لحضور المعارض الفنية المقامة بباريس. ثم سافر به الخديوي إسماعيل إلى مرسيليا لدعوة رؤساء وملوك وأمراء أوروبا للمشاركة في احتفالات افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية لأول مرة في التاريخ.

- وفي ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩م، اشترك اليخت «محروسة» في افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية للمرة الأولى، وعلى متنه العديد من الشخصيات الهامة من الأمراء والملوك والرؤساء، ومنهم الإمبراطورة أوجيني؛ إمبراطورة فرنسا زوجة نابليون الثالث. وفي هذه المناسبة أهدت الإمبراطورة أوجيني بيانو أثريًا صنع خصيصًا لها في (شتوتجارت) بألمانيا عام ١٨٦٧م، وهو ما زال بحالته الأصلية حتى الآن وموجودًا باليخت.

- في عام ١٨٩٩، أبحر اليخت من الإسكندرية إلى بورسعيد مقلاً الخديوي عباس حلمي الثاني للاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال المهندس الفرنسي «فردناند ديليسبس»؛ الذي أشرف على عملية حفر قناة السويس.

- في ٢٧ فبراير عام ١٩١٢م، نقل اليخت المهاجرين الأتراك من تركيا إلى الإسكندرية بعد قيام الثورة التركية بقيادة الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك. في ١٢ يوليو عام ١٩١٤م، نقل اليخت «محروسة» الخديوي عباس حلمي الثاني إلى تركيا؛ حيث مُنع من العودة بأوامر سلطات الاحتلال الإنجليزي. واستمر اليخت بالبقاء بميناء «الأستانة» حتى ٣ يناير ١٩١٩م؛ نظرًا لنشوب الحرب العالمية الأولى.

- في ٢٧ سبتمبر عام ١٩٣٠م، أقل اليخت الملك فؤاد الأول بالإبحار إلى ميناء بور توفيق بالسويس؛ لافتتاح ميناء البترول الجديد.

- وفي خلال الفترة من ١٦ فبراير إلى ٢١ فبراير عام ١٩٤٦م، تم إبحار اليخت وعلى متنه الملك سعود؛ ملك المملكة العربية السعودية لزيارة مصر والعودة مرة أخرى إلى السعودية. وكان في استقباله الملك فاروق وجُهِّز له استقبال عسكري حافل.

- في الفترة من ٤ يوليو إلى ١٢مايو عام ١٩٤٦م، تم استقبال اليخت «محروسة» على المخطاف في بحيرة التمساح بقناة السويس؛ نظرًا لقيام الحرب العالمية الثانية.

- في ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢م، أقلَّ اليخت «محروسة» الملك فاروق الأول بعد قيام ثورة ١٩٥٢م في مصر وتنازله عن العرش؛ وذلك للإقامة في إيطاليا؛ مثل جده الخديوي إسماعيل.

- في عام ١٩٥٤م، أبحر اليخت إلى بورسودان؛ لإحضار الحسيب النسيب الميرغني إلى مصر وعودته مرة أخرى إلى السودان.



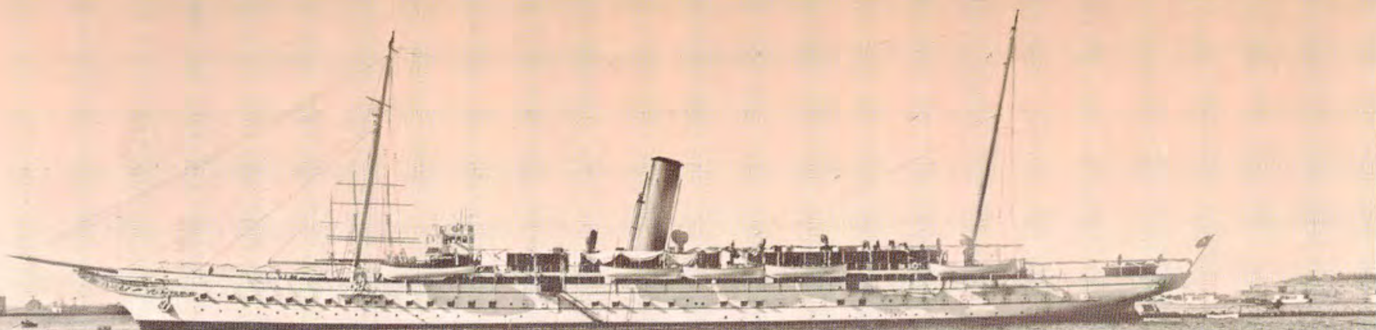
- في عام ١٩٥٥م، أبحر اليخت إلى «جبل طارق، لشبونة، وبرست، وروتردام، وارهس، وإستوكهلم، في رحلة تدريبية لطلبة الكلية البحرية المصرية خلال الفترة من ٢١ إبريل ١٩٥٥م وحتى ٩ يونية ١٩٥٥م.

- في عام ١٩٥٥م، نقل بعثة الحج إلى المملكة العربية السعودية ذهابًا وإيابًا؛ لأداء فريضة الحج.

- في خلال الفترة من ١١ إبريل وحتى ١٩ إبريل ١٩٥٦م، أقل اليخت طلبة الكليات العسكرية من الإسكندرية إلى دمشق؛ للاشتراك في أحد العروض العسكرية والعودة مرة أخرى.

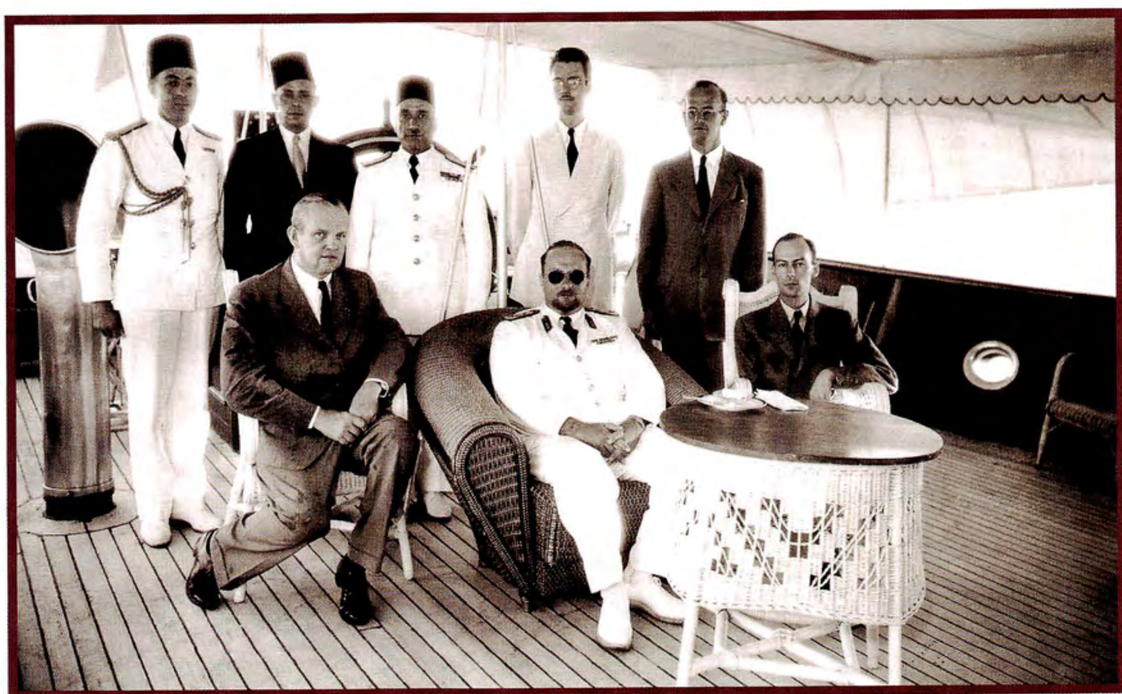
- في الفترة من ٢٤ إبريل وحتى ٣٠ إبريل عام ١٩٥٦م، أبحر اليخت «محروسة» إلى رودس، وكريت، والسلوم، والعودة إلى الإسكندرية في رحلة؛ لتدريب طلبة الكلية البحرية.



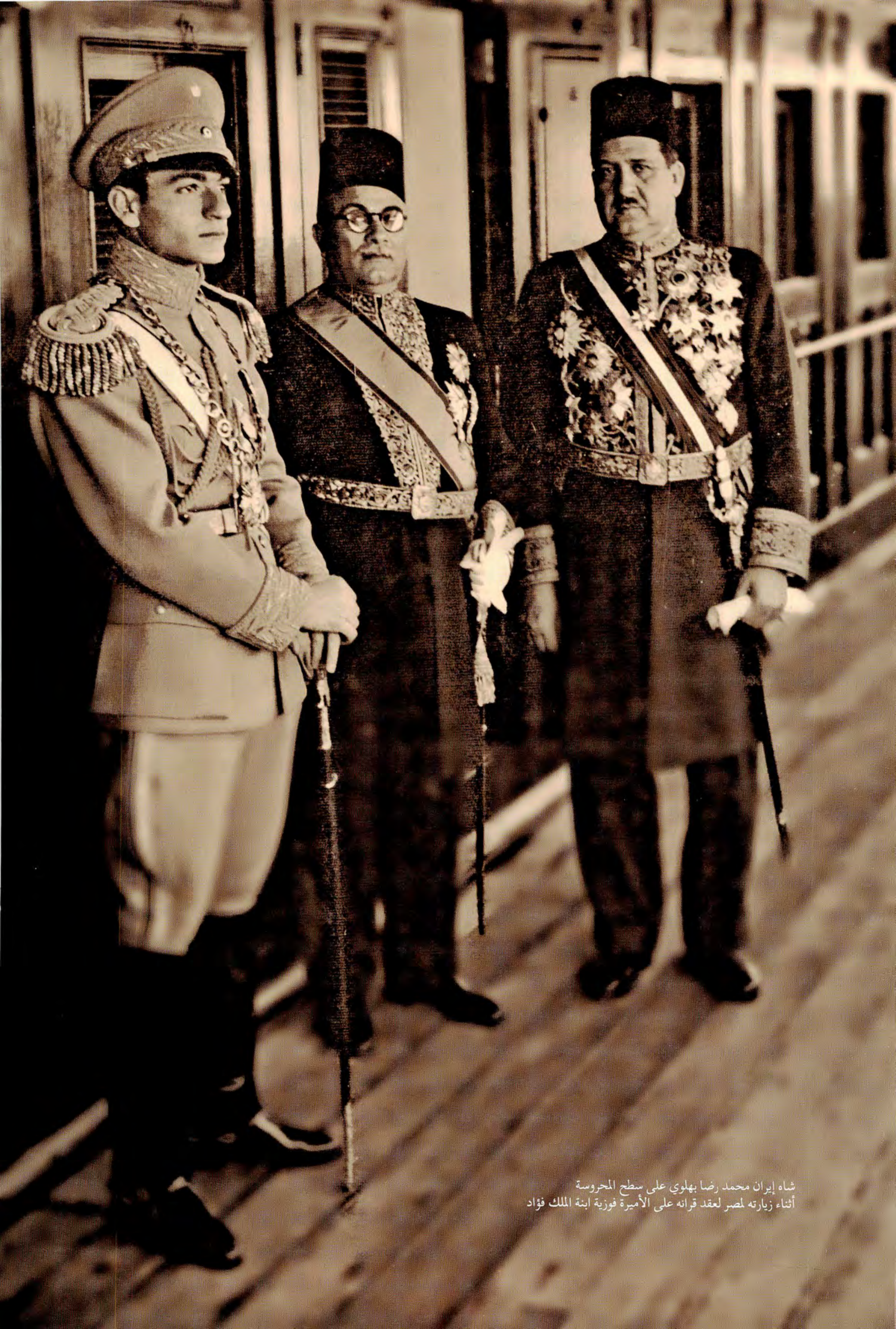




الملك فاروق والملكة ناريمان على سطح المحروسة



الملك فاروق برفقة بعض الضيوف على سطح المحروسة



شاه إيران محمد رضا بهلوي على سطح المحروسة
أثناء زيارته لمصر لعقد قرانه على الأميرة فوزية ابنة الملك فؤاد



الملك فاروق على سطح المحروسة مغادرًا البلاد عقب ثورة يوليو ١٩٥٢

من «المحروسة» إلى «الحرية»

- في ١٨ يوليو عام ١٩٥٦م، تم تغيير اسم اليخت «محروسة» ليصبح اسمه اليخت «الحرية»؛ وذلك بأمر رئاسي من السيد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. واستمر اليخت في العمل والإبحار ففي الفترة من ١٦ مايو وحتى ٩ يونية عام ١٩٥٨م، أبحر اليخت «الحرية» إلى قرطاجنة، وجنوا، وبولا والعودة إلى الإسكندرية في رحلة؛ لتدريب طلبة الكلية البحرية.
- في الفترة من ٢٨ يونية وحتى ١٩ يوليو عام ١٩٥٨م، أبحر اليخت «الحرية» إلى دبروفنيك، وسبليت، بولا، وبرنديزي مقلاً الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لزيارة يوغوسلافيا، وإيطاليا.
- أبحر اليخت «الحرية» إلى «الحُديدة» خلال الفترة من ٢١ سبتمبر وحتى ١٩ نوفمبر عام ١٩٥٨م؛ ليُقل الإمام أحمد؛ «إمام اليمن».
- في الفترة من ٢ وحتى ٣٠ مايو عام ١٩٥٩م، أبحر اليخت «الحرية» إلى الحُديدة، وبورسودان، وبورسعيد، واللاذقية، وطرابلس ثم عاد إلى الإسكندرية في رحلة تدريبية لطلبة الكلية البحرية.
- في الفترة من ١٢ وحتى ١٨ فبراير عام ١٩٦٠م، أبحر اليخت إلى «اللاذقية» مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر في زيارة للإقليم الشمالي «سوريا».
- في الفترة من ٣ وحتى ١٨ مارس عام ١٩٦٠م، أبحر اليخت مرة أخرى إلى «اللاذقية» مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر لزيارة الإقليم الشمالي «سوريا».
- في الفترة من ٥ وحتى ١٨ يونية عام ١٩٦٠م، أبحر اليخت إلى ميناء «بيريه» باليونان مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر لمقابلة ملك اليونان؛ الملك بول فردريكا؛ في زيارة رسمية زار خلالها شركات وترسانات البحرية اليونانية.
- خلال الفترة من ٢٨ يونية إلى ١٤ سبتمبر عام ١٩٦٠م، أبحر اليخت من الإسكندرية إلى «جنوا» بإيطاليا؛ لعمل عمرة بالماكينات، وقامت بها شركة «ماريوتي».
- في الفترة من ١٣ وحتى ٢٠ أكتوبر عام ١٩٦٠م، أبحر اليخت مرة أخرى إلى «اللاذقية» مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر؛ في زيارة للإقليم الشمالي «سوريا».
- في الفترة من ١٣ وحتى ٢٦ ديسمبر عام ١٩٦٠م، أبحر اليخت في رحلة تدريبية بالبحر الأحمر مقلاً نائب الرئيس اليوغسلافي.

- في الفترة من ٢٨ ديسمبر ١٩٦١م حتى ١٣ يناير ١٩٦١م، أقل اليخت الرئيس جمال عبد الناصر إلى الدار البيضاء لحضور مؤتمر الدار البيضاء بالمغرب.
- في الفترة من ١٩ فبراير وحتى ٨ مارس عام ١٩٦١م، أبحر اليخت مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر إلى «اللاذقية» لزيارة الإقليم الشمالي «سوريا».
- في الفترة من ٨ وحتى ١٤ فبراير عام ١٩٦٢م، أبحر اليخت مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر وبصحبته المرشال تيتو؛ رئيس جمهورية يوغسلافيا في رحلة بحرية بالبحر الأحمر زاروا فيها ميناء برنيس، والغردقة.
- في الفترة من ٣٠ إبريل حتى ١٦ مايو عام ١٩٦٣م، أبحر اليخت مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر لزيارة «الجزائر ثم يوغسلافيا».
- في عام ١٩٦٣م، أبحر اليخت من الإسكندرية إلى بورسعيد مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر لاستقبال القوات العائدة من اليمن.
- في ١٢ إبريل عام ١٩٦٤م، استقبل اليخت «الحرية» أعضاء مجلس الشعب؛ لمشاهدة مناورات القوات البحرية.
- في الفترة من ٩ وحتى ١٩ مايو عام ١٩٦٤م، أبحر اليخت «الحرية» إلى البحر الأحمر؛ لمرافقة السفينة «سوريا» التي أقلت الرئيس جمال عبد الناصر، والرئيس الروسي خرشوف، والرئيس العراقي عبد السلام عارف، والرئيس الجزائري أحمد بن بيلا.
- في عام ١٩٦٥م خلال الفترة من ١٧ وحتى ٢٧ أغسطس، أبحر اليخت «الحرية» مقلاً الرئيس جمال عبد الناصر إلى «جدة» في زيارة للمملكة العربية السعودية.
- في عام ١٩٦٥م، خلال الفترة من ٤ وحتى ١٠ ديسمبر، أبحر اليخت «الحرية» مقلاً الوفد الروسي برئاسة المارشال جريشكو؛ نائب وزير الدفاع الروسي في رحلة بالبحر الأحمر.
- في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات أبحر اليخت «الحرية» حوالي خمس رحلات هامة للغاية، بل تعتبر أهم رحلات اليخت على الإطلاق.
- في عام ١٩٧٤م شارك اليخت «الحرية» في المناورة البحرية للقوات البحرية، وعلى ظهره الرئيس الراحل محمد أنور السادات العاهل السعودي الراحل الملك فيصل.
- في ٦ يونية ١٩٧٥م، شارك اليخت «الحرية» في الافتتاح الثاني لقناة السويس، وعلى ظهره الرئيس الراحل محمد أنور السادات.
- في عام ١٩٧٦م، خلال الفترة من ٧ يونية حتى ٢٦ أغسطس، شارك اليخت «الحرية» في الاحتفال بالعيد المئوي الثاني لاستقلال الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث زار موانئ نيويورك، وواشنطن، وفيلادلفيا، وشارلستون. وأبحر اليخت «الحرية» فيها أطول رحلة له على الإطلاق «١٢,٧٠٠» ميل بحري، وكان محل إعجاب واهتمام الشعب الأمريكي على جميع مستوياته الرسمية والشعبية. وقد استقبل اليخت قرينة رئيس الولايات المتحدة، مسز فورد. وزاد عدد الزائرين عن «عشرة آلاف» فرد.

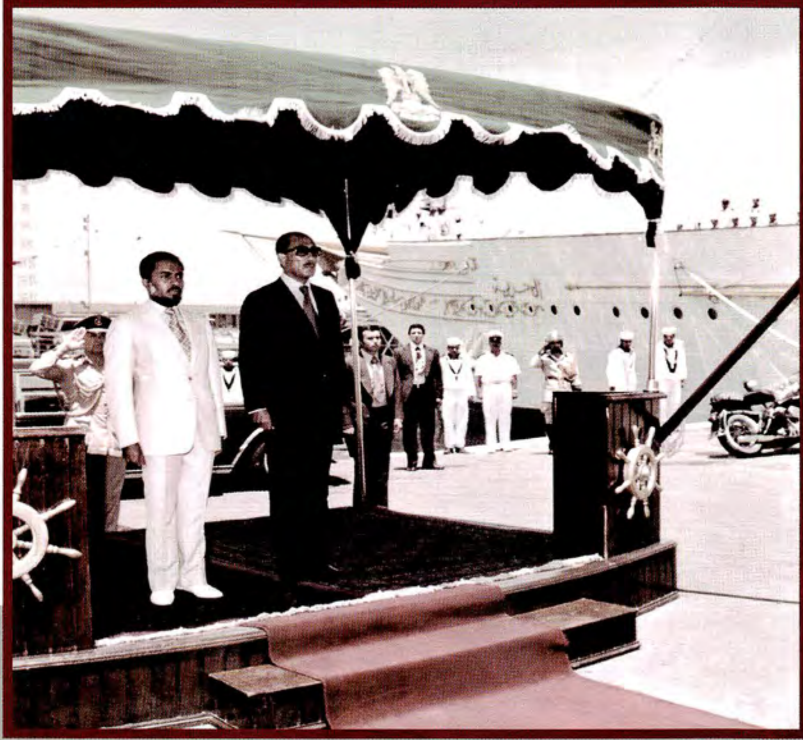


- في يوم ٢٥ إبريل ١٩٧٩م، استقبل اليخت على المخطاف أمام «العريش» للاحتفال برفع العلم الشريف؛ احتفالاً بتحرير سيناء العزيزة.
- في ٤ سبتمبر ١٩٧٩م، وصل اليخت «الحرية» إلى ميناء «حيفا» مقلاً السيد الرئيس محمد أنور السادات، في زيارة رسمية إلى «إسرائيل»، في إطار مفاوضات اتفاقية السلام بين البلدين.
- في ١٠ ديسمبر ١٩٨٠م، أقلَّ اليخت «الحرية» الرئيس محمد أنور السادات لافتتاح التفريعة الشرقية الجديدة لقناة السويس.



جمال عبد الناصر على سطح المحروسة





الرئيس محمد أنور السادات والسلطان قابوس، مايو ١٩٧٧

تطوير وتحديث «المحروسة»

في عام ١٨٧٢م أُرسل اليخت «محروسة» إلى لندن؛ حيث تم زيادة طوله ٤٠ قدمًا، وأصبح طوله ٤٥١ قدمًا (١٢٥مترًا). وفي عام ١٨٧٩م، أبحر اليخت «محروسة» مقلاً الخديوي إسماعيل للإقامة بإيطاليا، وذلك بعد عزله عن حكم مصر، وتولي ابنه «توفيق» باشا الحكم من بعده.

وفي عام ١٨٩٤م، تم تغيير القيزانات (غلايات إنتاج البخار) لليخت بترسانة (حسبو بك محمد) بالإسكندرية، وأجريت به بعض الإصلاحات. وفي يناير من عام ١٩٠٥م، أرسل اليخت إلى ترسانة «جلاسكو» بإسكتلندا؛ لتغيير ماكيناته وتركيب ثلاث ماكينات توربينية. وكان اليخت «محروسة» هو السفينة الثانية في العالم التي تم تركيب هذا الطراز الجديد من الماكينات بها. وأصبح اليخت بمدخنة واحدة بعد أن كانت له مدخنتان، وقد تم عمل بعض الإصلاحات والتغييرات، وتم استبدال الطارات الجانبية بثلاثة رفاصات في المؤخر. وفي عام ١٩١٢م، تم تركيب التلغراف اللاسلكي باليخت لأول مرة.

في شهر يونية عام ١٩١٩م، أُرسل اليخت إلى ميناء «بورت سمث» بإنجلترا؛ حيث تم تعديل شكل المؤخرة، وزيادة طوله «٢٧ قدمًا» (٨ أمتار) من المؤخرة، وتغيير الوقود المستخدم فيه من الفحم إلى المازوت، وتجديد الأثاث، وعمل الإصلاحات اللازمة. وتم دهان اليخت باللون الأسود، وأصبح طوله ٤٧٨ قدمًا (١٤٥مترًا). وفي عام ١٩٢٥م، أعيد دهانه باللون الأبيض.

في ٨ أكتوبر عام ١٩٤٩م، أبحر اليخت «محروسة» من الإسكندرية إلى ميناء «لاسبيزيا» بإيطاليا لإجراء عمرة ملاحية عمومية. وقد قامت بها شركة «انسالدو N.C.R » الإيطالية، وتم فيها تغيير الماكينات إلى توربينتين بخاريتين، وتبديل رفاصتين بدلاً من ثلاث رفاصات. وأصبحت قوة اليخت ٧٥٠٠ حصان، وحمولته من المازوت «٤٢٢» طنًّا، وزادت حمولته الكلية إلى «٤٧،٦» أطنان والغاطس إلى «١٧,٤٨» قدمًا؛ حوالي (٥,٣ أمتار). واستمر العمل باليخت حتى ٢٣ فبراير ١٩٥٢م، وسُمي الرصيف الرابط عليه اليخت بميناء لاسبيزيا برصيف المحروسة، وما زال بنفس الاسم إلى الآن.

في الفترة من ١٩٨٤م إلى عام ١٩٨٦م، دخل اليخت عمرة رئيسية اشترك في تنفيذها كلٌّ من «الورش الرئيسية للقوات البحرية» لبناء السفن، و«شركة ترسانة الإسكندرية البحرية» لعمل عمرة بالبدن والماكينات. وكذا حضرها الأستاذ الدكتور صبري عبد الرحمن؛ أستاذ الديكور بكلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية؛ لترميم الديكورات الموجودة «باليخت».

في ١٠ سبتمبر ٢٠٠٠م، قام الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك بزيارة يخت «الحرية»، وصدَّق على إعادة اسم اليخت إلى اسمه الأصلي «محروسة».



غرفة الملك



قاعة الطعام الرئيسية



القاعة الفرعونية





حكايات وروايات من مصر هي مواقف وأحداث حدثت على أرض الواقع، وليست من نسج الخيال، نبحر فيها كل مرة داخل حكاية حدثت على أرض مصر المحروسة، قد تكون من مئات السنين، وقد تكون من يوم مضى.

علي باشا إبراهيم

رحله بين جنبات الطب بالقصر العيني وأروقة متحف الفن الإسلامي

سوزان عابد







علي باشا إبراهيم اسم يعرفه جيدًا طلبة كلية الطب بقصر العيني وكلية العلوم بجامعة الإسكندرية، ومر بأذهان دارسي الفن الإسلامي ومحبي الآثار وزوار متحف الفن الإسلامي. فهو رائد من رواد الطب في العصر الحديث، وعلم من أعلام هذا المجال. وبكلية العلوم بالإسكندرية قاعة محاضرات تحمل اسمه؛ عرفانًا بجميله ودوره في تأسيس جامعة فاروق الأول - الإسكندرية الآن-. أما دارسو الفن الإسلامي فلا شك أنهم درسوا مجموعته الفنية التي يزخر بها متحف الفن الإسلامي ومتحف الآثار بجامعة القاهرة. فالدكتور علي إبراهيم أشهر جراح في مصر والشرق الأوسط خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهو من هواة الآثار، مما قاده إلى إجراء حفائر في الفسطاط على نفقته، وشراء مقتنيات وتحف عدت آنذاك من نوادر التراث الإسلامي؛كان أبرزها مجموعتا السجاد والخزف، اللتان بيع منهما جزء كبير بثمن زهيد إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة. وتعود الجذور الأولى لتكوين المجموعات الخاصة إلى مصر في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين؛ حيث اهتم بعض أثريائها بشراء ما يعرض من مقتنيات أثرية أو فنية في أسواق التحف بمصر، والتي كانت رائجة حينئذ، أو بشراء مقتنيات من الأسواق الأوروبية، واتجه بعضهم لشراء اللوحات الفنية كمحمد محمود خليل وحرمه. وجاءت هذه الرغبة في أول الأمر تأثرًا بالأثرياء الأوروبيين وبحُمى اقتناء الآثار للوجاهة الاجتماعية، ولكن بمرور الوقت نضجت هذه التجربة؛ فتحول الأثرياء إلى دارسين لهذه الآثار، وشكلوا مدارس خاصة بها، مثل أسرة الدكتور علي باشا إبراهيم.

ولد علي باشا إبراهيم في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٨٠ م، في مدينة الإسكندرية. ووالده إبراهيم عطا من مواليد قرية «مطوبس» بمحافظة الغربية (كفر الشيخ حاليًا)، كان يعمل فلاحًا في قرية «منية المرشد». ووالدته هي الحاجة مبروكة خفاجي من مواليد قرية «مطوبس» أيضًا. تزوج الوالدان، ولكن الله لم يقدر لهذا الزواج أن يستمر طويلاً فسرعان ما تم الطلاق، وذهبت الأم إلى الإسكندرية حيث وضعت طفلها الصغير الذي أسمته «عليًا». وقد حرصت والدة علي باشا إبراهيم على تعليمه، وكانت قد تكفلت بتربيته. واضطرها ذلك إلى أن تعمل قابلة؛ كي تكسب بعض المال لتقيم أَوَدها وأود ولدها. وما كاد علي إبراهيم يصل إلى الثامنة من عمره حتى أدخلته والدته مدرسة رأس التين الابتدائية، وكانت توفر له مصاريف الدراسة بصعوبة بالغة وكذلك الكتب، وما يكفي من القوت. ولقد كانت والدته تسبق تفكير عصرها؛ حيث رأت وهي السيدة الأمية أن المستقبل للعلم والمتعلمين. وقد كان علي إبراهيم يساعدها على ذلك حيث كان دائمًا موضع إعجاب مدرسيه وأساتذته، وذلك لتفوقه وحسن خلقه.

وقد حصل في هذه السن المبكرة على عديد من الجوائز التقديرية والتشجيعية التي كانت وسام شرف يحمله الطالب الصغير. وفي عام ١٨٩٢ م حصل علي إبراهيم على الشهادة الابتدائية، وكان ترتيبه الأول بين زملائه. وقد كانت الشهادة الابتدائية في ذلك الوقت تعادل الشهادة الجامعية؛ من حيث الوجاهة الاجتماعية وفرصة الحصول على وظيفة محترمة. وما إن علم الأب بنبأ نجاح ابنه، حتى طلب ضمه إليه. فراوغت الأم كثيرًا حتى لا يبتعد فلذة كبدها عنها. ولكن.. في ليلة من الليالي ذهب الأب إلى منزل الأم في الإسكندرية برفقة جماعة من الأصدقاء، بغرض أخذ علي للعمل معه. فما كادت الأم تعلم بهذا حتى تنبه عقلها إلى فكرة هروب علي إلى القاهرة لاستكمال تعليمه هناك. فبادرت بإعطائه ما تملك من المال وأعطته عنوان عائلة السمالوطي بالقاهرة، وجعلته يقفز إلى سطح الجيران، وودعته حتى يتمكن من استكمال مشواره التعليمي. حيث كان لأسرة السمالوطي بعض من يقطنون في الإسكندرية



والدا علي باشا إبراهيم السيدة مبروكة خفاجي والسيد إبراهيم عطا

ويعرفون والدته. واستقل علي أول قطار متجه إلى مدينة القاهرة؛ لاستكمال طريق الكفاح من أجل العلم. وفي القاهرة بمساعدة أسرة السمالوطي التحق علي إبراهيم بالقسم الداخلي في مدرسة الخديوية بدرب الجماميز، ليكمل دراسته الثانوية، فأظهر نبوغًا في الدراسة كعادته. وقد نال شهادة البكالوريا بتفوق في ٢٦ سبتمبر عام ١٨٩٧ م.

في أثناء مرحلة الدراسة الثانوية اتجهت ميول علي إبراهيم إلى العلوم الرياضية والتاريخ الطبيعي والكيمياء. فما لبث أن حصل على الشهادة الثانوية حتى التحق بمدرسة الطب بقصر العيني في عام ١٨٩٧ م وتخرج فيها في سنة ١٩٠١ م، وكانت مدة الدراسة في هذه الفترة أربع سنوات بعد أن كانت ست سنوات. وعندما دخل مدرسة الطب أراد أن يرد لوالدته بعضًا من هذا الجميل، وكان الطالب في مدرسة الطب حينئذ يتقاضى ثلاثة جنيهات شهريًا للتشجيع على الدراسة والاستمرار في طلب العلم. فكان علي إبراهيم يرسلها كاملة إلى والدته، وكان يتكسب من قراءة القرآن على المقابر أيام الجمع.

أثناء دراسة علي إبراهيم بمدرسة الطب سنة ١٨٩٧ م، كان عدد الطلاب بالفرقة الأولى وقتها اثني عشر طالبًا كان هو من بينهم، وكانت المصروفات قد ألغيت عام ١٨٩٦ م لتشجيع طلبة البكالوريا على الالتحاق بمدرسة الطب، ولكن على الرغم من ذلك فلم يكن الحال جيدًا في المدرسة. فقد كان مجموع الطلاب في بقية الفرق الخمسة للمدرسة خمسة عشر طالبًا. وقد أظهر علي إبراهيم نبوغًا فائقًا في مدرسة الطب كعادته دائمًا، فاهتم بالاستزادة من العلم، ولم يكتف بالمناهج المقررة فقط، بل كان يطلع على المجلات العلمية المتنوعة، وأخذ ينافس أساتذته في علومهم ومعارفهم في المجال الطبي؛ حيث كان يدرك أن التعليم الصحيح هو التعليم القائم على البحث العلمي والقراءة الواسعة، لا على الحفظ والتلقين.

وقد حصل على دبلوم الطب في أكتوبر سنة ١٩٠١ م، وحصل بموجب ذلك على «إجازة طبيب وجراح ومولد للسيد علي أفندي إبراهيم، حيث أتم الدراسة المقررة لمدرسة الطب في سنة ١٩٠١ م ليكون له حق التمتع بما تخوله له القوانين والأوامر المتبعة». وكان ترتيبه الأول بين زملائه، ويفوق مجموع درجاته درجات الثاني بفارق ثمانين درجة. وفي ٢١ أكتوبر ١٩٠١ م صدر تصريح من نظارة الداخلية؛ مصلحة الصحة العمومية بشأن مزاولة علي أفندي إبراهيم لمهنة الطب في القطر المصري، وتم إدراج اسمه بدفاتر الأطباء المعلومين تحت رقم ٦٤.

استطاع علي إبراهيم أن يوفر مبلغ مائة جنيه اقتصدها أثناء عمله في مصلحة الصحة بقسم الأوبئة، فاتفق مع صديقه الدكتور عبد المجيد محمود أن يفتحا عيادة كانت بجوار جامع قجماس الإسحاقي (أبي حريبة)، وبالفعل تم لهما ذلك وافتتحا العيادة. ولكن أتت الريح بما لا تشتهي السفن؛ حيث وجد علي



GOUVERNEMENT EGYPTIEN

MINISTÈRE DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE

CERTIFICAT D'ÉTUDES SECONDAIRES

الحكومة المصرية

نظارة المعارف العمومية

شهادة دراسية ثانوية

شهادة إتمام مرحلة الدراسة الثانوية باسم علي ابن إبراهيم أفندي عطا



الحكومة المصرية

نظارة المعارف العمومية

شهادة انتهائية من النظارة

دبلوم طبيب جراح ومولد

نحن ناظر المعارف العمومية

بعد الاطلاع على القرار الصادر من النظارة بتاريخ ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠١ نمرة ٨٥٧ قد اعطيت

هذه الشهادة الانتهائية الى علي افندي ابراهيم المولود في اسكندرية

حيث تم الدراسة المقررة لمدرسة الطب في سنة ١٩٠١ ليكون له

حق التمتع بما تخوله له القوانين والاوامر المتبعة

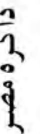
تحريرا بالقاهرة في ٢ رجب سنة ١٣١٩ ١٦ اكتوبر سنة ١٩٠١

شهادة إتمام الدراسة بمدرسة الطب صادرة في ١٦ أكتوبر ١٩٠١ م بصفة طبيب وجراح ومولد باسم علي إبراهيم



علي باشا إبراهيم في مستشفى أسيوط عام ١٩٠٤ م










علي باشا إبراهيم في شبابه

أن العمل كان صعبًا جدًا؛ فقد كان الإقبال كله على الأطباء الأجانب، وكانت لهم الزعامة الطبية في مصر، وكان الطبيب المصري غريبًا في وطنه.

وكان عمل علي إبراهيم بمصلحة الصحة (وزارة الصحة حاليًا)؛ بقسم الأوبئة، وفيها ظهر نبوغه وعبقريته المعتادة في تشخيص بعض الأمراض التي أصابت الريف المصري وحار فيها الأطباء، ومنها: تشخيص وباء الكوليرا الآسيوية، ووباء الجمرة الخبيثة.

كانت أولى العمليات الجراحية التي أجراها عملية استئصال الكلى، وهي من العمليات الكبرى التي لا يقدم عليها الجراح إلا بعد أن يكون قد ساعد في عدد منها، ثم قام بإجرائها تحت إشراف أستاذه حتى يتمكن من الاعتماد على نفسه. ولكن علي إبراهيم أقدم على هذه العملية دون سابق خبرة أو تجربة وفي ظل ظروف غير مواتية بالمرة؛ من حيث عدم وجود نقل الدم أو حقن الجلوكوز أو المضادات الحيوية. ولم يكن ذلك اندفاعًا منه أو غرورًا، بل كان ثقة في توفيق الله سبحانه وتعالى له أولاً، وفي قدرته على إتمام العملية بنجاح ثانيًا. فهو يرى أن نجاح العملية هو شفاء المريض، وأنه لا فائدة من نجاح عملية إذا توفي المريض. وبالفعل فقد نجحت العملية نجاحًا تامًا. ويذكر علي إبراهيم أن طبيب التخدير في هذه العملية هو الدكتور مصطفى فهمي، الذي أصبح فيما بعد وكيلاً لمستشفى قصر العيني.

أما أشهر العمليات التي أجراها علي باشا إبراهيم فكانت عملية جراحية للسلطان حسين كامل؛ فقد ازدادت شهرة علي إبراهيم عندما أصيب السلطان حسين بمرض عضال، واستدعى لعلاجه كل الأطباء الأجانب في القاهرة، فعجزوا عن علاجه، إلى أن أشار أحد الحاشية على السلطان باستدعاء الطبيب المصري علي إبراهيم لعل الله يجعل الشفاء على يديه. فوافق السلطان حسين على استدعائه. وجاء علي إبراهيم وأجرى عملية جراحية ناجحة للسلطان حسين شُفي على أثرها. فكافأه السلطان نظير ذلك بمبلغ ألف من الجنيهات الذهبية. ومن هنا ذاع صيت علي إبراهيم وانتشر خبر نجاحه في علاج السلطان بعد أن عجز الأطباء الأجانب عن معالجته. وبدأت ألوف المرضى يفدون إلى عيادته بشارع الصنافيري، التي لم تكن مجرد عيادة للكشف الطبي، بل مستشفى خاصًا بمفهومنا الآن. حيث كان المعتاد في تلك الفترة هو أن تتم العمليات إما في المستشفى الأميري وإما في منزل المرضى. إلا أن علي إبراهيم سنّ سنّة حسنة، وهي معالجة المرضى وإجراء العمليات الجراحية في عيادته التي جهزها بالأدوات الطبية الحديثة، وبالأسرة التي تسع المرضى، وبطاقم التمريض المدرب على مستوى عالٍ لخدمة المرضى، وهي بذلك تعد مستشفى خاصًا وليست عيادةً فقط.

النهوض بمستوى الجراحة في مصر

استطاع علي إبراهيم بما يمتلكه من أصابع ذهبية ورباطة جأش ومقدرة على تحدي الصعاب - أن يواجه كثيرًا من الشدائد والتحديات التي اعترضته في سبيل النهوض بمستوى الجراحة في مصر. فقد كان شديد الإعجاب والتقدير للجراح الألماني الكبير الدكتور كوخر، ويعترف بفضله عليه، على الرغم من أنه لم يتتلمذ له. ولكنه كان يتابع تفاصيل العمليات الجراحية التي يقوم بها الدكتور كوخر من المجلات الطبية الأجنبية. وكان ينفذها بالفعل على جثث الموتى حتى أتقنها وبدأ في تنفيذها على المرضى الأحياء. وقد واجه الفشل في بداية الأمر، ولكنه كان الفشل المحفز على التفوق، حتى أصبحت هذه العمليات من أسهل ما يكون على الطبيب المصري علي إبراهيم، وحقق بها نجاحًا عظيمًا. ويومًا بعد يوم أخذ صيته يدوي في سماء الطب المصري.

ولم يكن علي إبراهيم يقنع بمعالجة المرض فقط، بل كان حريصًا على التوصل إلى أسباب المرض وتجنبها. ورفع شعار «الوقاية خير من العلاج». واتخذ من التفكير العلمي وسيلة للوقوف على أسباب الأمراض المختلفة، فقد حدث ذات مرة أن انتشر مرض القيلة المائية، وفكر عميد الكلية في ذلك الوقت بالاستنتاج النظري لسبب هذا المرض وانتشاره في مصر، وتوصل إلى أن الأسباب هي (لبس الجلباب - ركوب الحمير - الإفراط في العلاقات الجنسية). فاستنكر علي إبراهيم

هذا التحليل النظري للمرض. وشرع في إجراء بحوثه العملية التي تقوم على أساس الفرض العلمي والتجربة والدليل وأخذ يحضر بنفسه في منتصف الليل لأخذ عينات من دم المرضى المصابين؛ بحثًا عن فرض فرضه تتحقق صحته بالعثور على دودة الفلاريا. وبالفعل تمكن من التوصل إلى أسباب المرض وهي أن دودة الفلاريا كانت تحدث سدًا في الأوعية اللمفاوية، مما يؤدي إلى دخول الجرثومة السبحية وحدوث التهاب بأغشية الخصية مع انسداد بالأوعية، مما يؤدي إلى ظهور القيلة، وكان ذلك بحثًا علميًا نشر في مجلة اللانست.

في ١٩٢٨ م تم تعيين علي بك إبراهيم وكيلاً لكلية الطب، وهو نفس العام الذي أنعمت عليه كلية الجراحين الملكية بإنجلترا بلقب الزمالة الفخرية لها. وكان بذلك أول مصري ينال هذا اللقب. وفي صيف ١٩٢٨م سافر علي إبراهيم إلى لندن حيث أقيم له احتفال كبير في كلية الجراحين الملكية. كما أقيم له احتفال آخر حضره ملك مصر فؤاد الأول؛ تكريمًا له وعرفانًا بفضله، وهو الاحتفال نفسه الذي تم فيه وضع حجر الأساس لمستشفى قصر العيني الجديد. وبعد فترة قصيرة انتخب عضوًا في الجمعية الطبية البريطانية، وكان ذلك تقديرًا لعمله وبراعته الفائقة.

وفي أوائل عام ١٩٢٩م انتحر الأستاذ مادن عميد كلية الطب وأستاذ الجراحة في ذلك الوقت، فخلا منصب عمادة كلية الطب؛ فاجتمع مجلس الكلية في ٣٠ إبريل ١٩٢٩ م في جلسة خاصة لانتخاب عميد لكلية الطب يخلف الأستاذ مادن. وقد كان العرف السائد حينئذ أن يكون العميد من الأساتذة الإنجليز، وبالرغم من ذلك العرف السائد وبالإضافة إلى أن مجلس الكلية كان نصف أعضائه من الإنجليز، فقد قرر بالإجماع تعيين علي بك إبراهيم عميدًا لكلية الطب؛ فكان خير خلف لخير سلف. ومما يزيد من قيمة هذا الاختيار أن اختيار عميد الكلية لا يكون مسببًا، إلا أنه لأول مرة يتم إرسال تقرير يوضح فيه مجلس الكلية الأسباب وراء اختيار أستاذ مصري لعمادة كلية الطب. فقد جاء في نص التقرير:



«تقديرًا لما أظهره علي بك إبراهيم من المقدرة الخارقة للعادة في إدارة الكلية وتنظيمها في الفترة التي كان فيها وكيلاً للعميد، واعترافًا بالجهود العظيمة التي بذلها في إعادة تنظيم الكلية وفي نجاحها المطرد في العشرين عامًا الماضية، رأى مجلس الكلية أن مصلحة الكلية والتعليم الطبي في مصر يقتضيان بأن ينتخب عميدًا».



القصر العيني في عهد علي باشا إبراهيم



ما إن تولى علي بك إبراهيم منصب العمادة حتى شرع في تطوير المستشفى وإعادة تنظيمه حتى يليق بمستوى التعليم الطبي في مصر. فقد كان مبنى مستشفى قصر العيني يضيق بمرضاه، وكان الزحام بالعيادة الخارجية شديدًا لدرجة خانقة وناقلة للمرض، ففكر علي بك إبراهيم في حل سريع، وهو إضافة طابق جديد للقصر العيني. وبعد مشاورات طويلة مع المهندسين والاستشاريين انتهى الأمر بأن البناء يستطيع أن يتحمل طابقًا واحدًا فقط نظرًا لقدم المبنى. وبالفعل تم إنجاز هذا العمل في أقل من عام، فتم بناء غرف عمليات جديدة مكيفة الهواء على أحدث النظم في ذلك الوقت، وتم عمل تغيير جذري في وسائل التعقيم؛ لإدراكه مدى أهميته في تتويج نجاح العمليات الجراحية.

وقد اهتم علي باشا إبراهيم بإرسال البعثات العلمية إلى الخارج؛ لإيمانه الشديد بأهمية الاطلاع على الأبحاث العلمية الأجنبية ومسايرة عجلة التطور والتقدم، فعمل على مضاعفة أعداد المبعوثين لاستكمال دراسة الطب في الخارج. وقد استنكر البعض الهدف من الزيادة الملحوظة في عدد الأطباء المبعوثين إلى الخارج، ولكنه - رحمة الله عليه - كان يتمتع ببُعد النظر؛ فكان هدفه الأول هو تمصير الطب في مصر مع مراعاة المستوى العلمي الجيد للأطباء المصريين. وقد تزامن افتتاح مدرسة قصر العيني الجديد مع عودة الأطباء المبعوثين الذين شغلوا وظائفهم في الكلية والمستشفى.

وفي عهد علي باشا إبراهيم التحقت الفتيات بكلية الطب، وكان هذا حدثًا فريدًا في تلك الفترة. ففي أكتوبر١٩٢٩م، ومع بداية فترة عمادة علي باشا إبراهيم، التحقت أربع فتيات بالكلية، وفي سنة ١٩٣٠م التحقت ست طالبات، وفي سنة ١٩٣١م التحقت طالبتان، وفي سنة ١٩٣٣م التحقت ست طالبات، وفي ١٩٣٤ م التحقت سبع طالبات، وكانت أول دفعة طبيبات تخرجت في كلية طب قصر العيني سنة ١٩٣٤ م. ولاشك أن إقبال الطالبات على دراسة الطب في مصر دليل على مبلغ ما وصلت إليه الفتاة المصرية من الطموح إلى الثقافة العلمية. وعلى السمعة الطيبة التي تمتعت بها كلية الطب في عهد علي باشا إبراهيم.

ولم يكتف علي بك إبراهيم بما وصل إليه حال مستشفى قصر العيني من تطوير وإصلاح. حيث دائمًا ما كان يرى الضرورة الملحة في بناء مستشفى جديد بمساحة شاسعة تتسع لآلاف المرضى وتخفف آلامهم. فكان دائم النظر من نافذته المطلة على الأرض الفضاء المقابلة للمستشفى، ويتمنى أن تكون تلك الأرض هي الامتداد الطبيعي له. ولكن كانت هناك عقبة شديدة تقف أمام تحقيق هذا الحلم النبيل، تمثلت في رغبة الملك فؤاد الأول في إقامة قصر لولي عهده فاروق الأول. ولكن استطاع علي بك إبراهيم بفضل نياته الحسنة ومساعيه الدائمة - أن يحصل على موافقة الملك فؤاد والحكومة المصرية على تخصيص تلك الأرض لبناء المستشفى الجديد. ولكن كيف تم له ذلك على الرغم من تمسك الملك فؤاد بالأرض

كيدًا في الأمير محمد علي. فقد كان الترتيب القدري لله - سبحانه وتعالى - هو الموفق في هذا الأمر. حيث مرض الملك فؤاد واستدعى الدكتور علي بك إبراهيم لعلاجه، وشفي الملك بفضل من الله وتوفيقه للطبيب علي بك إبراهيم، فاستطاع بذكائه ولباقته المعهودة أن يقنع الملك بالتنازل عن الأرض التي خصصها لبناء قصر ولي العهد لصالح بناء مستشفى قصر العيني الجديد. وحينها تعجب الناس كثيرًا عندما أعلن القصر الملكي تنازله عن الأرض. وتم وضع حجر الأساس للمستشفى الجديد في عام ١٩٢٨ م.

ولم ينته الأمر بذلك، فمازال هناك أمر النفقات المالية اللازمة لبناء المستشفى وتجهيزه بالأدوات والأجهزة الطبية. فكانت الميزانية الخاصة بذلك تبلغ مليون جنيه. وكان هذا مبلغًا ضخمًا في تلك الفترة، ولاسيما أن حكومة إسماعيل باشا صدقي كانت تعاني من الأزمات المالية، وتُضيق تضييقًا شديدًا في مصروفات الحكومة، ولم يكن في إمكانها الموافقة على تخصيص مليون جنيه لبناء مستشفى قصر العيني الجديد. وبذلك لم تكن الظروف الاقتصادية مواتية حتى لتقديم طلب إلى الحكومة لبناء المستشفى.

ونتيجة للنيات الحسنة والمساعي الطيبة التي كان يبذلها علي بك إبراهيم في سبيل النهوض بمستوى التعليم الطبي في مصر، شاء الله أن يمرض رئيس الوزراء إسماعيل باشا صدقي، فاستدعى علي بك إبراهيم لعلاجه، وشفاه الله على يديه. فأراد إسماعيل باشا صدقي أن يكافئه على نجاحه، فما كان من علي بك إبراهيم بفطنته وذكائه إلا أن يطلب نظير عمله أجرًا مقداره مليون جنيه يبني بها المستشفى الجديد، وتم له ذلك.

ووقع علي بك إبراهيم في غرام المستشفى الجديد؛ فكان يذهب إلى أول الجزيرة وينظر إلى النيل والقاهرة ويقول: ستصبح القاهرة مدينة أخرى عند إكمال هذا المبنى. وبالفعل تم البناء عام ١٩٣٦ م وأمه المرضى في عام ١٩٣٧ م، وكان العلاج فيه بالمجان، فأعطى ذلك مجالاً كبيرًا لعلاج الناس الذين لا يملكون أجر العلاج.

وقد جاءت مستشفى قصر العيني الجديد على أحدث النظم العالمية آنذاك؛ فقد كان يطابق نظام مستشفى سان توماس في لندن. وكان مجهزًا بأحدث الأجهزة الطبية. ويحتوي على ألف وثلاثمائة سرير، وكان في ذلك الوقت من أكبر مستشفيات العالم، وصارت العيادة الخارجية مبنى مستقلاً كبيرًا يتسع لمليون ونصف مليون متردد من المرضى في العام الواحد، وكل ذلك دون مقابل.

علي باشا إبراهيم وزيرًا للصحة

في ٢٧ يونية سنة ١٩٤٠ م تولى حسن باشا صبري رئاسة الوزارة، وقام بوضع التشكيل الوزاري الذي نص على تولي



علي باشا إبراهيم وسط أطباء القصر العيني عام ١٩٣٩ م

علي باشا إبراهيم وزارة الصحة العمومية، والإمام مصطفى عبد الرازق وزيرًا للأوقاف، وإبراهيم عبد الهادي وزيرًا للتجارة والصناعة، وحسين باشا سري وزيرًا للأشغال، وحافظ رمضان وزيرًا للشئون الاجتماعية، وحلمي باشا عيسى وزيرًا للعدل. وأثناء تولي علي باشا إبراهيم للوزارة توفي رئيس الوزراء حسن باشا صبري، فتم تشكيل وزارة جديدة برئاسة حسين باشا سري، كان من ضمن تشكيلها تولي علي باشا إبراهيم لوزارة الصحة العمومية. وفي ٣١ يوليو سنة ١٩٤١ م تقدم حسين باشا سري باستقالته. وانتهت فترة تولي علي باشا إبراهيم وزارة الصحة بعد أن ترك فيها البصمة النبيلة.

علي باشا إبراهيم وتأسيس نقابة الأطباء

كان الوسط الطبي المصري في أواخر القرن التاسع عشر في حالة تفكك وانحلال وتخاذل وضغينة، وقد جاهد عدد من المصلحين في علاج هذه الحالة السيئة؛ فحاول شكري باشا أن يصلح هذه الحالة الشاذة بتأليف نقابة، ولكن مراميها كانت أبعد من أن تحقق، ولم يكن الوسط الطبي قد تهيأ لقبولها. وحاول الدكتور علوي باشا والدكتور نظمي بك تكوين نقابة مختلفة لم تكن أسعد حظًا من سابقتها، وتألفت بعد ذلك جماعتان أو اتحادان من الأطباء الذين تجمعهم صلة خاصة، جماعة قصر العيني وجماعة أخرى كان أظهر رؤسائها الدكتور محمود بك عبد الوهاب والدكتور صدقي بك، والدكتور سعد الخادم بك، وقد أدت هذه الجماعات خدمات عظمى في تقريب أوجه الخلاف بين الأطباء، وإزالة التخاذل وتقوية روابط الألفة بين الأطباء.

كان لعلي باشا إبراهيم دور الريادة في التوفيق بين الأطباء ورفع المستوى الفكري بينهم، بدأت أولى خطواتها بإصدار المجلة الطبية المصرية سنة ١٩١٧ م، ثم تأسيس الجمعية الطبية المصرية سنة ١٩٢٠ م، وكانت الخطوة التالية التي خطاها علي باشا إبراهيم في سبيل الإصلاح - سعيه في إصدار القانون الخاص بمزاولة مهنة الطب في مصر، وكان هناك مشروع قانون قدمه المستر جودمان، يعلم الذين اطلعوا عليه أنه كان شديد الإجحاف بحقوق المصريين، وقد بذل علي إبراهيم مساعي كبيرة حتى تمكن من إقناع رشدي باشا بإيقاف صدوره فأوقفه. ولما تولى طلعت باشا وكالة وزارة الداخلية للشئون الصحية، رأى علي باشا إبراهيم أن الفرصة سانحة لعمل قانون جديد فأوعز إلى طلعت باشا بتأليف لجنة لإصداره، وقد ألفت اللجنة من علي إبراهيم، والدكتور حلمي والمستر ريتشاردز، والدكتور هاستنجز، وأنجزت مهمتها وأتمت صوغ قانون تم إقراره والعمل به، ويعد هذا القانون من أفضل حسنات مصلحة الصحة في ذلك الوقت. وفي عام ١٩٤٠ م تأسست نقابة الأطباء، وانتخب علي باشا إبراهيم أول نقيب لها.

في عام ١٩٦٩ م؛ أي بعد وفاة علي باشا إبراهيم صدر قانون جديد بشأن نقابة الأطباء، حدد لها فروعًا على مستوى المحافظات، وتضمن أهدافها، وشروط العضوية والقيد في جداول النقابة، وترخيص مزاولة المهنة.

علي باشا إبراهيم مديرًا لجامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن)

عقب خروج علي باشا إبراهيم من وزارة الصحة، صدر مرسوم بتعيين علي باشا إبراهيم مديرًا لجامعة فؤاد الأول في ٢ سبتمبر ١٩٤٢ م، وصدق على المرسوم وزير المعارف العمومية محمد حسين هيكل، ورئيس مجلس الوزراء حسين سري باشا. وفي ١٤ سبتمبر ١٩٤١ م تم توقيع العقد بين علي باشا إبراهيم بصفته مديرًا لجامعة فؤاد الأول، ووزير المعارف، لمدة ثلاث سنوات ابتداءً من ١٤ سبتمبر ١٩٤١ م. واستمر علي باشا إبراهيم مديرًا للجامعة لمدة خمس سنوات. كانت من العصور الذهبية في تاريخ جامعة فؤاد الأول؛ فقد حرص خلال تلك الفترة على تدعيم الطب المصري وزيادة رقعة انتشاره، والنهوض به في كافة أنحاء القطر المصري وليس في القاهرة فقط. ومن هذا المنطلق ساهم علي باشا إبراهيم في تأسيس جامعة فاروق الأول بالإسكندرية.

جامعة فاروق الأول بالإسكندرية

كان لعلي باشا إبراهيم اليد البيضاء في تأسيس جامعة فاروق الأول بالإسكندرية عام ١٩٤٢ م، وتدعيمها بالمراجع العلمية القيمة والأبحاث الهامة؛ لكي تكون نواة في بناء مكتبة ضخمة للجامعة. ومازال حتى الآن يطلق اسم علي باشا إبراهيم على أكبر مدرجات كلية العلوم بالإسكندرية. ويزين مدخل كلية الطب تمثال نصفي لعلي باشا إبراهيم؛ اعترافًا بفضله وعظيم جهده في سبيل إنشاء الجامعة.

وقد كان من المقترح أن يُتخذ من مستشفى جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية نواة لمدرسة الطب في الإسكندرية، نظرًا للحاجة الماسة إلى وجود مدرسة للطب ثانية في القطر المصري، ولكن تم العدول عن هذا القرار وتم إقامة مبان خاصة بكلية الطب ومستشفاها، وبذلك تكونت نواة جامعة الإسكندرية التي عرفت باسم جامعة فاروق الأول. ولم تكن لتنشأ كليتا الطب والعلوم بجامعة الإسكندرية تلك النشأة المفاجئة التي كانت حقيقتها أغرب من الخيال، لو لم يجتمع حول مهدها ثلاثة رجال هم: أحمد نجيب وزير المعارف العمومية، وطه حسين المستشار الفني لوزارة المعارف العمومية، والدكتور علي باشا إبراهيم مدير الجامعة المصرية. فقد قام علي باشا

إبراهيم بتخصيص خمسة وعشرين ميكروسكوبًا لكلية العلوم ومثلها لكلية الطب بالإسكندرية، فقد كانت الميكروسكوبات من أثمن الأشياء وأبهظها ثمنًا؛ لأنها ترد من الخارج، أما خلاف ذلك فإن كل شيء من الممكن أن يدبر محليًا. ولم يكتفِ علي إبراهيم بتأسيس الجامعة فقط، بل حرص على وضع نواة مكتبة كلية الطب، وذلك بإهدائها مجموعة قيمة من أمهات الكتب العربية والأجنبية في العلوم الطبية.

وما كان من جامعة فاروق الأول أمام هذا الجهد المبذول إلا تقديم الشكر والثناء، ففي ١٠ إبريل سنة ١٩٤٣ م منحت كلية الطب بجامعة فاروق الأول الدكتور علي باشا إبراهيم مدير جامعة فؤاد الأول شهادة الدكتوراه الفخرية في الطب؛ تقديرًا لخدماته القيمة، واعترافًا بعظيم جهده في إنشاء كلية الطب بجامعة فاروق الأول.

علي باشا إبراهيم وتأسيس الجمعية الطبية المصرية

إن تاريخ الجمعية الطبية المصرية هو التاريخ الحقيقي للنهضة الطبية المصرية في القرن العشرين، ويرتبط بها أيضًا التعليم الطبي المستمر، والروابط الطبية العربية بما فيها إنشاء اتحاد الأطباء العرب، وكذلك الروابط الطبية المصرية الإفريقية والآسيوية والعالمية. وفي ١٦ يناير سنة ١٩٢٠ م (٢٥ ربيع الأول ١٣٣٨هـ) اجتمع ٤٢ طبيبًا على إنشاء الجمعية التي أسموها (الجمعية الطبية المصرية)، وكان مقرها بشارع الصنافيري بعابدين، بعيادة الدكتور علي إبراهيم بك (استمرت عيادة الصنافيري مقرًّا للجمعية أكثر من عشرين عامًا، إلى أن تم الانتقال إلى مقر الجمعية الدائم بدار الحكمة)، وانتخب الدكتور عيسى حمدي باشا رئيسًا لها.

جائزة «الدكتور علي باشا إبراهيم التعليمية»

في أول أكتوبر سنة ١٩٤٠ م قررت أسرة الجمعية الطبية تكريم الدكتور علي باشا إبراهيم وتقديره لما بذله من جهد مضن في سبيل تأسيس الجمعية وإصدار مجلتها واستضافته لها في عيادته في أول تأسيسها. وبناءً على ذلك قامت بإرسال خطاب موقع من الأسرة الطبية المصرية إلى السيد وزير المعارف بشأن إنشاء جائزة تسمى «جائزة الدكتور علي باشا إبراهيم التعليمية»، ينفق من ريعها على تعليم طالب علم يسمى «تلميذ الدكتور علي باشا إبراهيم».

وبذلك قضى علي باشا إبراهيم سنوات طويلة عمل فيها على تمصير الطب في مصر، والتأكيد على قدرة الطبيب المصري إذا أتيحت له الإمكانات اللازمة والظروف المواتية في التفوق على نظيره الأجنبي.

وعلى صعيد آخر هناك جانب آخر لشخصية الجراح الفذ علي باشا إبراهيم، وهي هواية جمع التحف الأثرية، فقد حرص على اقتناء التحف الأثرية النفيسة منذ بداية القرن العشرين، واستمر في جمعها زهاء أربعين عامًا. وقد كان طوال هذه المدة

Excellency le Prof. Aly Pasha Ibrahim, ministre de l'Hygiène Publique (Photo Weinberg)

first, second and third ... lowed in 1913 and 1917 in Egypt. ... the Order of Merit (second class) was bestowed upon him in Lebanon, in 1930 that of Pasha in Egypt. The following year he was honored with the Great Star of Ethiopia of Abyssinia. In 1935 he was made Commandant of the Legion of Honor of France, and received the Order of Merit (first class) in Syria.

Two years later he was honored with the Grand Cordon of the Order of the Nile of Egypt, the Phenix Grand Cross of Greece and the Grand Order of St. Laurice and St. Lazare of Italy. In 1938 the Cross of Merit of the Order of the German Eagle (first class) of Germany, and in 1939 the titles and decorations of Knight Commander of the British Empire and Grand Cordon Hamayoni of Iran were conferred upon him. Honorary tributes still continued, and in 1940 Egypt bestowed upon him the title of Commander of the Order of Maarif, and 1941 the Grand Cordon of the Order of Ismail.

Ali Ibrahim Pascha has been president of the Society for the Care of Destitute Children, president of the Executive Board of the Arabic Museum and member of the Al Mouasat Society of Cairo.

He has written numerous scientific articles, many of which appeared in Arabic, six being presidential addresses. His principal contributions concern surgery of the kidney and the gallbladder and surgical treatment of tuberculosis, bilharzia and other complications.

The above accomplishments represent only the chief milestones in the life of Ali Ibrahim Pascha, a noted surgeon, a prolific contributor to surgical literature, who enjoys the highest esteem of his colleagues. We are proud to have him among us.

Ali Ibrahim Pascha

WE are pleased to present a pen picture of His Excellency, Ali Ibrahim Pascha, Vice-President of the International College of Surgeons. This dis-

Dr. Ali Ibrahim Pascha, Cairo, Egypt, Vice-President, I. C. S.

...guished surgeon was born in Alexandria, Egypt, on October 10, 1880. He was graduated in 1901 from the School of Medicine Cairo. In 1928 he received the degree of F.R.C.S. (Hon.), England, and in 1930 the degree of M. Ch. (Hon.), M.D. (Hon.), from the Egyptian University.

Ali Ibrahim Pascha has been the recipient of countless honors dating from 1903. His first distinction was the title of Fifth Me-

466

NOTRE ÉLITE

Le Professeur ALY PACHA IBRAHIM

Maître en Chirurgie

Docteur en Médecine (Le Caire) — Docteur en Médecine (Athènes)

Fellow of the Royal College of Surgeons of England

Doyen de la Faculté de Médecine, Vice-Recteur de l'Université Egyptienne

Né en 1880 à Alexandrie. En 1897, après le baccalauréat, il est admis à la Faculté de Médecine où, encore étudiant, il est délégué en 1900 pour combattre une épidémie de choléra, et en 1901, une épidémie de peste. Il est ensuite nommé assistant du professeur d'anatomie pathologique, le professeur ...

Le Professeur ALY PACHA IBRAHIM

— 5 —

LE COMMUNIQUE DE L'IRGOUN

Décès de

S.E. Aly Ibrahim pacha

Nous apprenons avec un profond regret le décès, survenu hier soir, de S.E. le Dr Aly Ibrahim pacha, recteur de l'Université ...

BUREAU simple, comme sa vie, accueil cordial, comme son bureau.

Mince, sec, le visage en lame de couteau, les yeux vifs, Son Excellence qui a tout de l'escrimeur tombe immédiatement en garde.

Nous lions le fer :

D — J'ai désiré vous exprimer ma surprise: un hygiéniste à la tête de l'Hygiène Publique ? Où allons-nous ?...

R — Ce n'est pas un métier d'être Ministre. Je préfère décidément celui de chirurgien.

D — On m'avait averti que vous aviez de l'esprit. Pourquoi ... pas un métier ? V... beaucoup de bien ...

R — Certes, ... manque pas. Mais ...

L'Egypte, à l'épreuve du danger

se révèle à la hauteur de ses devoirs

nous dit HUSSEIN SIRRY PACHA

Ministre de la Défense Nationale

La formation des officiers et des cadres supérieurs - Le plan de sept ans - Tout doit progresser de pair - Les Trois Etapes - Les arrivages d'armes et de munitions - La collaboration entre les forces anglo-égyptiennes - Le problème de l'Entretien

Le magnifique élan de la jeunesse pour servir sous les drapeaux

LE COMMUNIQUE DE L'IRGOUN

Jérusalem, le 28 (AFP). — ...

UNE DECLARATION AUX COMMUNES

DERNIERE HEURE

Comment on crut à la libération du juge Wyndham

Son Excellence Aly Pacha Ibrahim, en effet, n'est pas simplement un des plus grands chirurgiens de notre temps. C'est un savant, un méditatif, un de ces profonds observateurs ...

شديد الاتصال برجال العاديات وأسواق الآثار في مصر والشرق الأدنى وأوروبا وأمريكا. ووُفق في الحصول على تحف تغبطه عليها دور الآثار في العالم أجمع، كما اكتسب خبرة في بعض ميادين الفنون الإسلامية لا تقل عن خبرة الأخصائيين من علماء الآثار وموظفي المتاحف.

ولكننا نتساءل منذ متى يهتم علي باشا إبراهيم كلَّ هذا الاهتمام بالتحف الفنية؟ وما سر ولعه الدائم بكل ما هو نفيس وقيم؟

لقد كان مولعًا بالفنون والجمال منذ صغره، وكان لرحلاته المدرسية أثرٌ بالغٌ في تنشئته نشأة فنية، فهو لا يزال يتذكر زيارته لقلعة الجبل، والقصور المملوكية، والمساجد الأثرية زيارات كثيرة ولدت رغبة دائمة لمعرفة تاريخ الإسلام والمسلمين ودراسة آثارهم وفنونهم. ومن هنا اهتم بجمع كافة المقتنيات من التحف الإسلامية المتنوعة من منسوجات وسجاد وخزف وفخار. وشيئًا فشيئًا زاد اهتمامه بكل ما هو قيم بما في ذلك التحف الفنية الفرعونية واليونانية والرومانية والفارسية. وأخذت عيناه تتعلق بكل ما هو قيم وثمين. وقد كان لديه صالونان على الطراز العربي الإسلامي؛ الأول للجلوس والتأمل، بينما يستقبل ضيوفه بالصالون الآخر.

كان تجار التحف الإسلامية في مصر يعرفون علي باشا إبراهيم، ويعتبرونه زبونهم الأول، فيهرعون إليه بكل تحفة جديدة تظهر في سوق الآثار الإسلامية. وكانت شهادته بأن التحف نفيسةٌ حجةٌ عند تاجر الآثار وعند الاختصاصيين فيها. وتمتاز مجموعة علي باشا إبراهيم بأنها كاملة في بعض نواحي الفنون الإسلامية كمالاً لم تصل إليه غيرها من مجموعات الأفراد أو المجموعات المحفوظة في دور الآثار، فالذين يدرسون السجاجيد الشرقية أو يعجبون بها يجدون عند جراح مصر الأكبر نخبة طيبة جدًا من السجاد المصنوع في إيران وبلاد التركستان والقوقاز والعراق والشام والأناضول وإسبانيا والمغرب؛ فضلاً عن السجاجيد الصينية الإسلامية المصنوعة في آسيا الوسطى، ومعظم تلك السجاجيد نادر وثمين جدًا، ويرجع إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي.

وقد فكر الدكتور علي باشا إبراهيم في تنسيق مجموعته الفنية في متحف يشمل عدة قاعات من داره ولكن قيام الحرب أجّل تنفيذ هذه الفكرة. ثم وضعت الحرب أوزارها، فبادر بتحقيقها، برغم المرض الذي دب إلى صحته. ثم اشتد به المرض فاضطر إلى أن يلزم داره، ولكنه كان يحث أفراد أسرته والمتصلين به من الاختصاصيين على إعداد هذا المتحف، وظل يشرف على هذه المهمة العزيزة على نفسه حتى اليوم الأخير من حياته، وبالفعل تم إعداد القسم الأكبر من المتحف قبل وفاته بثلاثة أيام، ولكن لم يمهله الأجل إلى أن يرى بعينيه هذا المتحف الذي عمل على تكوين مجموعاته السنين الطويلة، والذي كان شغله الشاغل في الشهور الأخيرة من عمره.



ويضم هذا المتحف زهاء مائتين من السجاجيد النفيسة التي صنعت في شتى مراكز نسج السجاد في إيران وتركستان وتركيا والهند ومصر والأندلس. وتمتاز معظم هذه السجاجيد بأنها في حالة جيدة من الحفظ، وبأنها تمثل صناعة السجاد الشرقي خير تمثيل.

كما يضم المتحف كذلك زهاء ثلاثمائة تحفة من الخزف والقاشاني المصنوع في إيران. ويمثل هذا العدد الكبير شتى الأنواع المعروفة من هذا الخزف، فبينها الخزف ذو الزخارف المحزوزة تحت الدهان، والخزف ذو النقوش المرسومة فوق الدهان، والخزف ذو البريق المعدني في العصور المختلفة، والخزف المتعدد الألوان، والخزف ذو الزخارف البارزة. وتشهد هذه المجموعة بما بلغته صناعة الخزف الإيراني من الإتقان منذ فجر الإسلام إلى عصر الدولة الصفوية.

وبين معروضات المتحف نحو مائة تحفة من الخزف المصري في عصر الفاطميين والمماليك، وتمتاز من بينها الأواني المصنوعة من الخزف ذي البريق المعدني في العصر الفاطمي، فإن بعضها عليه إمضاء صانعيها مع نسبتهم إلى مصر، بما يشهد بأن هذا الضرب من الصناعة كان معروفًا في مصر على يد صناع مصريين، ولم يكن يرد إليها من الخارج، كما كان يظن في بعض الأحيان.

قام علي باشا إبراهيم بإهداء مجموعة من التحف الخزفية النفيسة التي يبلغ عددها ٢٤٦ قطعة؛ وتمثل إنتاج الفن الخزفي الإسلامي في عصور مختلفة وأقاليم متعددة – إلى متحف الآثار بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول في ٢٤ إبريل ١٩٤٤ م. كما قام بإهداء ثلاث قطع من الأقمشة القبطية القديمة إلى المتحف القبطي في ٢٧ أكتوبر ١٩٣٩ م.

وبعد وفاة علي باشا إبراهيم قامت السيدة حرمه بإهداء مجموعة نفيسة من التحف الفنية الخاصة به إلى دار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامي الآن) في سنة ١٩٤٩ م. كما قامت بإهداء مجموعة أخرى إلى متحف كلية الآداب بجامعة القاهرة في ٢٨ إبريل ١٩٥٢ م.

نهاية الرحلة

في ٤ فبراير ١٩٤٤ م أصيب علي باشا إبراهيم بأزمة قلبية شديدة، وظل مرض القلب يتردد عليه بين الحين والآخر، وأخذت حالته الصحية تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، فقد تورمت ساقاه وأصبح قليل القدرة على الحركة، وأصيب بضيق شديد في التنفس. وفي الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٤٧ م توفي علي باشا إبراهيم عن عمر يناهز سبعة وستين عامًا، وشيعت الجنازة في اليوم التالي في موكب مهيب من ميدان التحرير إلى جامع الكخيا، وكانت من كبرى الجنازات التي سارت في القاهرة في ذلك الحين.





الدكتور علي باشا إبراهيم مع أعضاء متحف الفن الإسلامي







منزل الدكتور علي باشا إبراهيم



الدكتور علي باشا إبراهيم في منزله



منزل الدكتور علي باشا إبراهيم





الدكتور علي باشا إبراهيم وزير الصحة الأسبق في حفائر الفسطاط



دار الأوبرا المصرية

دار الأوبرا المصرية من الأبنية التي شيدها الخديوي إسماعيل كجزء من احتفال افتتاح قناة السويس، ولم يضن إسماعيل باشا على دار الأوبرا بكل ما يحيطها بالروعة، ويضفي عليها جمال الفن وجلاله، لتكون إحدى فقرات الاحتفاء بضيوف افتتاح القناة، فأسند الخديوي الإشراف على أعمال البناء إلى المهندس الإيطالي «بيترو أفوسكاني» الذي شيد قصر رأس التين لمحمد علي باشا. كما أشرف على تنفيذ ديكورات قصور العباسية، والحلمية، والجزيرة، وشبرا، ومسرح زيزينيا بالإسكندرية. وتصميم البناء الرئيسي إلى المهندس الإيطالي «سكالا»، والمبنى الخلفي من تصميم المهندس «جيوفاني سالمون». وقد شيدت دار الأوبرا الخديوية على طراز أوبرا «لاسكالا» بميلانو، وكان أساسها من الأحجار، وباقي المبنى من الخشب المستورد من لبنان، المغطى بالجص.

افتتحت دار الأوبرا في نوفمبر ١٨٦٩ م بأوبرا «ريجوليتو» وكان بالمقصورة الملكية: الخديوي إسماعيل، والإمبراطورة أوجيني، ونابليون الثالث، وعاهل النمسا؛ الإمبراطور فرنسوا جوزيف. وكانت الدار تسع ٨٥٠ مشاهداً. وقد أعدت بها أكثر من استراحة، وقاعة خاصة للتدخين، وقاعة للمآدب الرسمية الفخمة، وقاعة للموسيقيين. كما ألحق بها مبنىً به عدة غرف لحفظ الملابس والأثاثات ولتخزين المناظر بأسلوب منظم ومرتب وغرف خصصت لتغيير الملابس.



دار الأوبرا عام ١٨٦٩ م



دار الأوبرا المصرية عام ١٨٦٩ م



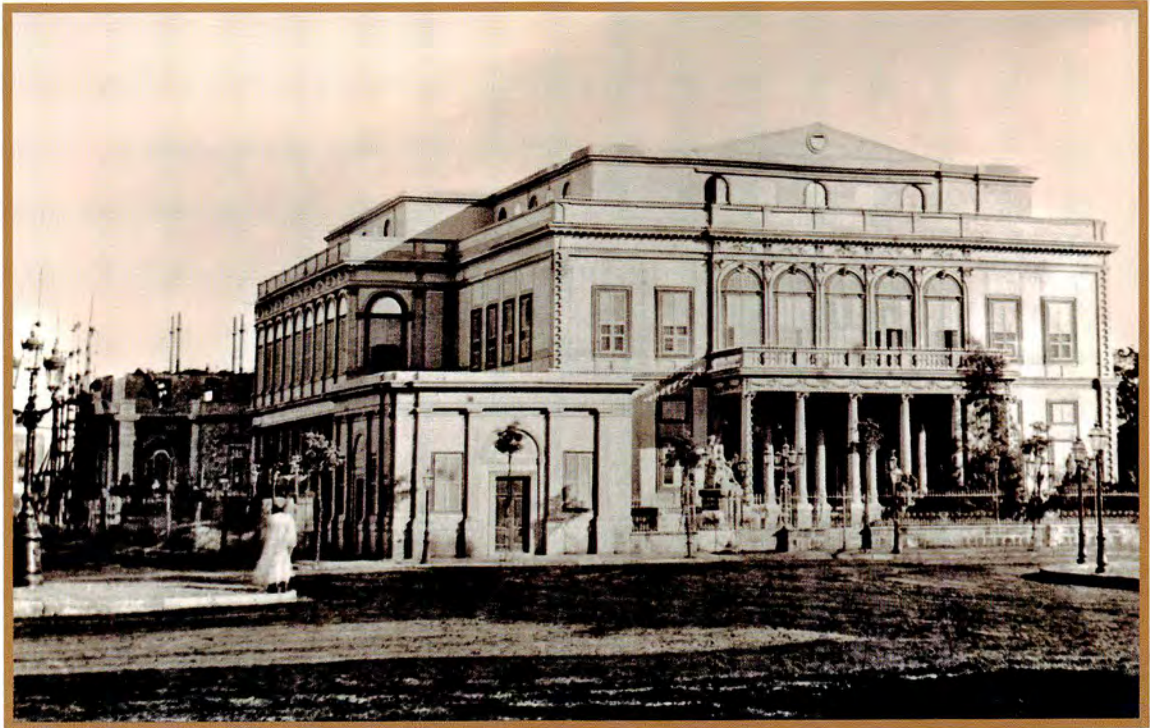
دار الأوبرا عام ١٨٦٩ م







دار الأوبرا عام ١٩١١ م



دار الأوبرا عام ١٩١١ م

قبيلة الهوارة في مصر

عبد العزيز فضالي

انظر لخيل هوارة ترى عجبًا في سيرها حين يسري بها الساري
لم تختل الخيل قط براكبها ما لم يكن الراكب فوق السرج هواري
إذا الأقوام افتخروا بمجدهم نحن قوم تفخر بهم الأمجادي



هوارة من أكبر قبائل المغرب العربي، أخذت اسمها من هوار بن أوريغ بن برنس الذي غلب اسمه على أسماء إخوته؛ ملد، ومغر، وقلدن، فسموا جميعًا بهوارة. ويقول اليعقوبي إن أبناء هوارة يرجعون نسبهم إلى حمير وأن أجدادهم هاجروا من اليمن في زمن قديم. واتفق العموم على إن الهوارة والهواري لقب العسكر الذين يمشون في مقدمة الجيش، ويبدو أن هذه القبيلة قبل قدومها إلى مصر، كانت تعيش في إسبانيا والمغرب، فقد استقرت العائلة في إسبانيا منذ القرن التاسع الميلادي على الأقل، وقد تولى أحد زعماء القبيلة المُلك في إسبانيا، وهو المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، وذلك عام ١٠٨٣م. وكان بنو هوارة يعدون في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي سادة وأصحاب شأن في شمالي إسبانيا، كما تولوا القيادة العسكريّة في قرطبة وطليطلة وسواهما من المدن الإسبانيّة.

وتنقسم هوارة إلى عدة بطون، فإلى هوار بن أوريغ تنتمي بطون كهلان وغريان ومسلاتة ومجريس وورغة وزكاوة وونيفن، وإلى مغر تنتمي بطون ماوس وزمور وكياد وسراي وورجين ومنداسة وكركودة، وإلى قلدن تنتمي بطون قمصانة ورصطيف وبيانة، وإلى بطون ملد تنتمي بطون مليلة ووسطط وورفل ومسراتة وأسيل، ومن البطون المنتمية أيضًا إلى هوارة، ترهونة وهراغة وشتاتة وإنداوة وهنزونة وأوطيطة وصنبرة.

وخلال القرن التاسع الميلادي امتدت ديار هوارة في إقليم طرابلس ما بين تاورغاء ومدينة طرابلس. وحملت عدد من المناطق في الإقليم أسماء بطونها؛ مثل مسراتة وورفلة وغريان ومسلاتة وترهونة. وقد شاركت قبائل هوارة مشاركة فعالة في الثورات التي قامت في أواخر حكم الدولة الأموية. واستمرت خلال الدولتين العباسية والأغلبية حتى قيام الدولة الفاطمية، مما أدى إلى قتل وهجرة كثير من أبنائها إلى مناطق أخرى، كما أدى إلى ضعفها بطرابلس حتى إنه لم يكن لها ذكر في الصراع الذي نشأ بين بني زيري الصنهاجيين وبني خزرون الزناتيين حول السيطرة على طرابلس في القرن الحادي عشر الميلادي. كما لم يكن لها ذكر عند هجرة قبائل بني هلال وبني سليم. وقد امتزج من بقي من أبنائها في قبائل ذباب من بني سليم.

كما أقامت قبائل هوارة ببلاد أخرى في المغرب العربي، وذكر اليعقوبي في أواخر القرن التاسع الميلادي، والبكري في منتصف القرن الحادي عشر أنهم يقيمون في غرب تونس، وبالجزائر في جبال الأوراس وحول مدن تبسة وقسنطينة وسطيف والمسيلة وتيهرت وسعيدة، وفي بلاد المغرب الأقصى ببلاد الريف وحول مدينتي أصيلة وفاس. كما ذكر ابن خلدون أن قبائل ونيفن وقيصرون ونصورة من هوارة تقيم بين مدينتي تبسة وباجة، وتقيم قبيلة بني سليم من هوارة حول مدينة باجة، وتقيم في غرب الجزائر قبائل من هوارة من بينها قبيلة مسراتة التي يقيم جزء منها بإقليم طرابلس وجزء آخر مع الملثمين (الطوارق)، ويعرفون باسم هُكّارة، قلبت الواو في هوارة كافًا أعجمية تخرج بين الكاف والقاف، أي كالجيم في العامية المصرية، ومنهم من استقر في فزان وكانت لهم دولة عاصمتها زويلة حكمها برقة الخطاب منهم، واستمروا في حكمها حتى عام ٨٠٦ هـ.

وقد هاجر جزء من هوارة إلى برقه وأقاموا بها، ثم هاجروا منها إلى مصر، وكانوا في القرن الثالث عشر الميلادي ينتقلون بين مرسى الكنائس والبحيرة، ثم نزحوا من البحيرة إلى الصعيد بعد نزاع نشب بينهم وبين زنارة، واستقروا بجرجا وما حولها (محافظة سوهاج الآن)، ثم انتشروا في معظم الوجه القبلي ما بين قوص (محافظة قنا الآن) إلى غربي الأعمال البهنساوية (محافظة المنيا الآن).

وقد ذكرالقلقشندي الذي عاش في القرن التاسع الهجري في كتابه «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب»؛ أربع وثلاثين بطنًا من هوارة بالصعيد؛ وهم: بنو محمد، وأولاد مأمن، وبندار، والعرايا، والشللة، وأشحوم، وأولاد مؤمنين، والروابع، والروكة، والبردكية، والبهاليل، والأصابغة، والدناجلة، والمواسية، والبلازد، والصوامع، والسدادرة، والزيانية، والخيافشة، والطردة، والأهلة، وأزليتن، وأسلين، وبنو قمير، والنية، والتبابعة، والغنائم، وفزارة، والعبابدة، وساورة، وغلبان، وحديد، والسبعة، والإمرة فيهم لأولاد عمرو، وفي الأعمال البهنساوية وما معها لأولاد غريب.

للحديث عن الهوارة في مصر يجب أن نتحدث عن البدو الذين كانوا منقسمين إلى ساكني البيوت وساكني الخيام. النوع الأول مزارعون وكان منهم الخفراء والمشايخ والخولي والقضاة. والنوع الثاني محاربون رعاة وكان البدو عنصر قلق للسلطات الحاكمة في مصر خصوصًا منذ العصر المملوكي، فقد رفضوا الخضوع لسلطة المماليك وتمردوا عليهم بل ونظروا إليهم نظرة احتقار. ولعل أول حركات التمرد كانت حركة الأمير نجم الدين الجعفري الذي رفض حكم أيبك ووصفه بأنه عبد مملوك واستمر تمرده إلى أن تم إعدامه في عهد الظاهر بيبرس، وحركة

حصن الدين بن ثعلب كبير عربان الشرقية والذي ثار على الظاهر بيبرس. أما أهم تلك الحركات على الإطلاق في العصر المملوكي؛ فهي حركة الأحدب؛ حيث انضم إليه مجموعات من الفلاحين، وقاد ما يعرف بثورة الفلاحين الكبرى في ٧٥٤ هـ/ ١٢٥٤ م. وقد تفنن المماليك في إهانة مشايخ العرب فنجد السلطان إينال يرحل الفضل الهواري من الصعيد إلى الشرقية ويصادر أملاكه، وأمر قائده يشبك الدوادار بسلخ وشي وخوزقة بعض أعلام البدو. لم يتوقف الصراع البدوي المملوكي طيلة حكم المماليك لمصر، فقد اشتبك البدو مع المماليك كثيرًا وعزلوهم من الإدارة المحلية فقد عزل الهوارة على سبيل المثال محمد بك حاكم جرجا في ١١٢٠ هـ/ ١٧٠٧ م وعينوا بدلاً منه قيطاس بك. أما أهم أشكال هذا الصراع على الإطلاق فكان صراع شيخ العرب همام مع علي بك الكبير في ١٧٦٣م.

أهم عادات وتقاليد قبيلة الهوارة

الزواج عند هوارة

يتميز نظام الزواج لدى الهوارة بتعقيدات عرفية ترجع في مضمونها إلى تمسك القبيلة بأصولها السلالية القديمة؛ حيث إن الشاب الهواري يمكن أن يتزوج من خارج القبيلة، ولكن الفتاة لا تتزوج من خارج قبيلتها. وقد يحدث خلل ما في هذا النظام ولكن في حالات قليلة جدًا، ويعاقب صاحبها عقابًا شديدًا من قبل أفراد القبيلة؛ كالعزلة الاجتماعية، أو الطرد من القبيلة نهائيًا. ويوقع هذا العقاب من خلال شيخ القبيلة وكبارها بصفة عامة، ومردود هذا النظام يرجع إلى اعتقاد أفراد قبيلة الهوارة بأنهم يتمتعون بنسب عريق يختلف عن بقية القبائل الأخرى، كما أنهم يمتلكون أراضي شاسعة من أجود الأراضي الزراعية، لذا فإن اختلاط النسب وخاصة للفتاة الهوارية خارج القبيلة يؤدي إلى أن تؤول أجزاء كبيرة من هذه الأراضي إلى أبناء ينتسبون إلى الأب، وبالتالي إلى قبيلة أخرى وبهذا تتفرق الأراضي وتختلط الأنساب وتضيع هيبة القبيلة.



الواجبات الاجتماعية عند هوارة

يعتبر الهوارة الاعتداء على أي فرد منهم اعتداءً عليهم جميعًا، ولو حدث خلاف بين اثنين من الهوارة يكون الاحتكام للمشايخ والكبار دون اللجوء للشرطة. ويتمسك أفراد قبيلة الهوارة بصفة التضامن القوي أثناء الأزمات، ويعتبرونها من أهم الصفات التي تعبر عن بنائهم القبلي. ويتجلى هذا التضامن في حالات الوفاة فعند حدوث حالة وفاة عند أحد أفراد القبيلة تفتح الساحة - المندرة أو المضيفة - لتلقي واجب العزاء من أفراد القبيلة من مختلف درجاتها من القبائل الأخرى لمدة ١٥ يومًا يكونون خلالها طالقي اللحية تقديرًا للمتوفى وأهله. كما يلبس نساء وبنات القبيلة بصفة عامة الملابس السوداء لمدة عامين. وفي حالة حدوث أن أفراد إحدى درجات القبيلة لم يأتوا للعزاء، فإن الهوارة يقاطعونهم إلى الأبد ولا يشاركونهم في أفراح أو جنازة ولا تنتهي هذه المقاطعة إلا بحدوث صلح عن طريق المجلس العرفي للقبيلة.

المرأه عند هوارة

يختلف الهوارة فيما بينهم في هذه النقطة، حيث إن فرع أولاد يحيى من الهوارة؛ لا تخرج فتياتهم من البيت منذ أن تولد إلا عندما تذهب إلى بيت زوجها ثم عند مماتها. ويقوم رب الأسرة بإحضار مدرسة خاصة أو فتاة من المتعلمين بالقرية تقوم بتعليم بناته القراءة والكتابة داخل المنزل. أما بقية أفرع القبيلة، فيسمحون لبناتهم بالخروج إلى التعليم وسواه. وهذا على الأقل في الوقت الحالي منذ عقدين أو ثلاثة من الزمن. وإذا مرضت إحدى سيدات أو فتيات القبيلة سواءً كان هذا المرض مرضًا عاديًا أو إحدى حالات الولادة، فيقومون بالبحث عن طبيبة من المركز تأتي إلى المنزل وتقوم بعمل اللازم. وإذا تعذر وجود الطبيبة يتم عمل اللازم من خلال الوصفات الطبية أو علاج يقوم بكتابته طبيب بدون كشف على المريضة، إذا وافق الطبيب. وفي حالات الولادة إذا تعذر وجود طبيبة؛ تأتي إحدى النساء المتخصصات في الولادة وتعرف باسم «الداية» لتقوم بالمهمة. وأيضًا فيما يختص بهذه النقطة، فإن فرعي القبيلة من الهممامية والبلابيش يختلفان عن فرع أولاد يحيى، فهما يذهبان بالمريضة إلى الطبيبة أو الطبيب في العيادة أو في المنزل، وهذا يمثل في حد ذاته تغييرًا لبعض العادات والتقاليد لدى القبيلة بصفة عامة.

وبالنسبة لواجبات المرأة الاجتماعية فالنساء يخرجن متشحات بالبردة ويخرجن في مجموعات بصحبة أحد الرجال، ومن أعراف هوارة ألا يلقي أحد السلام على آخر طالما كان معه النساء.

وبالنسبة لموضوع ميراث المرأه فعندهم ما يعرف بالتراضي وهو أن يراضي الأخ أخته بمبلغ من المال مقابل تنازلها عن ميراثها، ومعظم النساء يقبلن هذا التعويض حفاظًا على الود والقرابة؛ لأنها بتلك الموافقة سيكون لها بقية حق في رقبة أخيها وأبنائه تضمن استمرار ودهم لها وزيارتهم لها بقية العمر في كل المناسبات محملين بالهدايا، وحتى يظل لها نصيب معلوم في بيت إخوتها إذا دارت بها الدوائر. وفي عرف الهوارة ما يعرف بـ «حرمة المنزل» فلا يحق للضيف الغريب أن يطرق على باب الهواري؛ إذ ربما لايكون هناك رجل بالمنزل، وعلى الضيف أن يطلب من أي هواري مار أن يطرق له على الباب.

الاقتصاد عند هوارة

تعتبر الزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي لأفراد القبيلة؛ حيث يبلغ نسبة من يعمل بالزراعة أكثر من ٨٠٪ حسب البيانات الرسمية المدونة بسجلات الجمعية الزراعية. أما باقي الأفراد فيعملون في باقي المجالات الوظيفية؛ مثل: التجارة المتوسطة والبسيطة، والعمل في مصنع سكر دشنا. وفيما يتعلق بالعمالة المأجورة، فإن القبيلة تعتبر مصدرًا مهمًّا للعمالة المأجورة، ولكن من خارج القبيلة؛ لأن الهواري - حتى ولو كان من فقراء القبيلة القليلين - لا يعمل في أراضي الغير من أبناء عمومته؛ لأنه يعتبر أن هذا ينقص من قدره وقدر أسرته عندما يعمل عند أشخاص يتساوون معه في الأصول والأنساب لمجرد أن الله منحهم مالاً وأرضًا واسعة.

هوارة والحياة السياسية في مصر

يتمتع الهوارة بتنظيم سياسي قوي يستمد قوته وهيبته من البناء الاجتماعي الخاص بالقبيلة وأهم سمات هذا التنظيم السياسي هو التركيب السياسي العام للقبيلة بصفة عامة والذي يأتي على رأسهم شيخ القبيلة، وهو رأس هذا التركيب، ويتم اختياره من خلال مجلس القبيلة الذي يضم كبار القبيلة سنًّا ومقامًا وثراءً، ويندرج تحت صفة «مقامًا» ذو الأخلاق الرفيعة والعلم. ويتم الاتفاق فيما بينهم - أفراد القبيلة - على اختيار الأكبر سنًّا والأصوب رأيًا والأكثر مالاً وعلمًا. والغرض من تحديد هذه الصفات بالذات أنها سوف تساعده في تحمل مسئوليات القبيلة المختلفة، والوصول إلى أنسب الطرق في حل الخلافات والنزاعات التي تنشب بين أفراد القبيلة وتجعل كل أفرادها طوع أحكامه وأوامره، ويعد الخروج عن هذه الأحكام والمبادىء شيئًا من المستحيل. ومن أهم المهام التي يقوم بها شيخ القبيلة هي اختياره للأشخاص الذين ترشحهم القبيلة في المجالس المحلية على مستوى القرية والمركز والمحافظة، أو الذين يتم اختيارهم للترشح في مجلسي الشعب والشورى. ويشترك في هذا الاختيار معاونو شيخ القبيلة من ذوي الخبرة والرأي الصديد وذوي العلم. ويتم عقد اجتماعات عديدة في المساحة الكبيرة للقبيلة يُتناول فيها أفضل العناصر الموجودة وفرص النجاح وعدد الأصوات المحتملة من القبائل الأخرى. ويُكلَّف بهذه المهام أشخاص عديدة من بين القبائل؛ وهي أشبه إلى لجان سياسية منظمة. ويكاد لا يخلو مجلس قروي أو مجلس المركز من وجود عضو من أبناء قبيلة الهوارة، ويمتد هذا إلى مجلس محلي المحافظة في كثير من الأحيان.

أما على مستوى مجلسي الشعب والشورى فتاريخ الهوارة السياسي يتميز بالقدم فيما يتعلق بتفاعلهم واندماجهم بدءًا من مجلس الأمة إلى مجلس الشعب. ومما يدلل على هذا التاريخ الطويل الصور الفوتغرافية التي تزين جدران منازل وساحات الهوارة. وهي عبارة عن صور لرجال من قبيلة الهوارة مع رموز الحياة السياسية المصرية في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي من الباشوات والبكوات في ذلك الوقت، ولم يخلُ برلمان في مصر من نواب هوارين. ومن أشهرهم النائب محمد بك عبد العال أحمد عايد الهوراي (دائرة أبو شوشة) عضوًا بالهيئة النيابية الأولى، والنائب حسن بك محمد الوكيل الهواري (دائرة دشنا)، والنائب همام أحمد خلف الله الهواري (دائرة نجع حمادي)، والنائب أحمد علي محمد الدربي (دائرة أبو شوشة) عضوًا بالهيئة النيابية السابعة، والنائب محمد همام أحمد خلف الله الهواري (دائرة نجع حمادي) انتخب عضوًا بالهيئة النيابية الثامنة، وغيرهم كثير.

كما بزغ العديد من الهوارة في مجالات مختلفة؛ ومنهم الإذاعي الكبير فهمى عمر الهواري، والوزير الدكتور ماهر مهران الهواري، والذي شغل منصب وزير الصحة، والوزير محمد عبد الحميد رضوان الهواري؛ وزير الثقافة ووزير مجلسي الشعب والشورى، وغيرهم كثير.





الكوميديا المصرية
بين الهدف والتسلية

الدكتور عبد القادر القط

(مقال منشور في مجلة المسرح ١٩٦٨م)

«كانت فرقة تحية كاريوكا قد قدمت مسرحية باسم «البغل في الإبريق» لقيت ثناءً كثيرًا من بعض أدبائنا ونقادنا المرموقين لما جاء في مشهد قصير فيها من بعض النقد الاجتماعي والسياسي، مغتفرين لها بعد ذلك كل ما فيها من إسفاف».

من القضايا التي تثور من حين إلى آخر في حركتنا المسرحية ويختلف حولها المشتغلون بالمسرح اختلافًا حادًّا؛ قضية الكوميديا بين الهدف والتسلية. فمن قائل إن هذا اللون من التأليف المسرحي ينبغي أن يستهدف غاية اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية خاصة تخدم الفرد والمجتمع من خلال ذلك الإطار الساخر الضاحك، وقائل إن الضحك يمكن أن يقصد لذاته، وحسب العمل الكوميدي أن يسري عن المشاهد هموم الحياة بالضحكة الصافية التي لا تتعلق بشيء من تلك المشكلات التي جاء إلى المسرح لكي ينساها. وكما يحدث عادة في مناقشاتنا الحادة يأخذ كل جانب الطرف المضاد من القضية دون نظر إلى ما يمكن أن يكون هناك من وجوه الالتقاء، وتضيع الحقيقة في غمرة التطرف.

ولا جدال في أن الصورة المثلى للمسرحية الكوميدية أن تجمع بين الهدف والتسلية، ولكن لا شك أيضًا أن الناس يجدون كذلك متعة كبيرة فيها يمكن أن تضحكهم وتسليهم. وليس هناك اعتراض على هذا النوع الأخير من المسرحيات إلا من حيث اقترانه عادة بالإسفاف في الحوار أو الخروج عن اللياقة أو العدوان على بعض القيم الخلقية التي يعيش عليها المجتمع دون رغبة في نقدها أو تغييرها إلى شيء أفضل. فمن الصعب أن يتصور المرء عملاً كوميديًّا طويلاً ليس له هدف إلا التسلية دون أن ينطوي على بعض هذه الجوانب من الهبوط؛ إذ يكاد يكون من المستحيل على المؤلف أن يبني مسرحية بأكملها على مواقف وشخصيات يقصد بها الضحك والتسلية فحسب وتجنب الخوض في أية قضية اجتماعية أو أخلاقية إلا إذا اعتمد على المبالغة المسرفة، واهتم بالفكاهات التقليدية كالجنس والشذوذ السلوكي والخلقي والأنماط الاجتماعية وما عرفت به من حوار خاص.

وقد شاهدت مسرحية من هذا القبيل قدمتها فرقة الفنانين المتحدين هي «البيجاما الحمراء» استطاع مؤلفها خلال مدة تزيد على ثلاث ساعات أن يبتعد بالمشاهد عن كل ما يمكن أن يمس المجتمع أو النفس الإنسانية من قريب أو بعيد وأن يثير ضحكة على سلسلة من المواقف المفتعلة، كان لابد لكي تستقيم إلى النهاية أن تعتمد على تلك العناصر التي أشرت إليها من جنس محوره فتاة خليعة التقطها البطل من أحد النوادي الليلية أو شاب أبله شديد التعلق بأمه أو شيخ متصاب شديد الولع بالنساء يصاب بنوع من التشنج بين حين وآخر كلما وقف في سبيل نزواته عائق. وقد أصبحت تلك الفتاة الخليعة نمطًا مألوفًا في تلك المسرحيات في ثوبها الضيق الشفاف أو البراق وحركاتها الجنسية المتكلفة كالتثني وهز الأرداف والغمز بالحواجب وإطلاق ضحكة طويلة مجلجلة يقصد بها أن تجيء خليعة فتجيء نشازًا غريبًا لا معنى له. كل ذلك بلا مبرر من موقف ولا هدف إلى رسم شخصية أو الكشف عن سلوك.

والحق أن من الحماقة أن تأخذ تلك الأعمال التي تقصد إلى التسلية وحدها شكل المسرحية الكاملة، ذلك الشكل الذي لا يمكن أن يقوم في صورة معقولة إلا على موضوع يتصل اتصالاً ما ببعض الأوضاع الاجتماعية أو القيم الخلقية أو السلوك الإنساني. والأولى في هذه الحالة أن نلجأ إلى برامج «المنوعات» التي قد يجد المشاهد فيها بعض العناصر الجمالية أو الفكاهة الصافية التي لا تنحدر كما يحدث في المسرحية الطويلة إلى الابتذال، مما يعوضه عن نقص الهدف الاجتماعي.

ولو افترضنا جدلاً أن مثل تلك المسرحيات يمكن أن تخلو من الإسفاف فسيبقى هناك وجه هام للقضية هو مقدار التوازن بين الجد والهزل في حركتنا المسرحية. ولا شك أن من يتتبع نشاطنا التمثيلي يلاحظ أن هناك في السنوات الأخيرة ميلاً إلى تغليب جانب التسلية المحض يتمثل في الإلحاح على الجمهور - في وسائل الإعلام - بأخبار ممثلي هذا النوع من الكوميديا وفرض فكاهاتهم وطرائفهم الشخصية على وجدانه والترويج لأعمالهم المسرحية ترويجًا لا تظفر بمثله الأعمال المسرحية الجادة. وقد تجاوز الأمر الممثلين فشمل طائفة من الكتاب قدمتهم وسائل الإعلام إلى الجمهور بوصفهم كتابًا للفكاهة وأدخلتهم في سياسة النجوم

التي تفرض على وجدان الجمهور في أكثر من برنامج إذاعي أو تليفزيوني أو صحفي. وقد أوشك هؤلاء الكتاب انسياقًا وراء هذه الشعبية المفروضة أن يفقدوا مواهبهم الأدبية الحقيقة ويهبطوا بالتدريج إلى دوامة الفكاهة السطحية.

ولا شك أن معظم الجمهور إذا تلقوا كل يوم شخصية تقدم لهم على أنها ممثلة لصفة نفسية أو فكرية خاصة، فإنهم سيألفون بقوة تكرار تلك الشخصية على هذا النحو. فإذا كان المفروض أنها شخصية مفكر أو فيلسوف فإن كل ما ينطق به أصبح حكمة لديهم، وإذا كانت شخصية ممثل كوميدي، فإن كل عبارة أو إشارة منه تصبح مثيرة الضحك. وهكذا اختل التوازن بين الجانب الجاد والجانب المسلي في نشاطنا التمثيلي وأصبحت قضية الكوميديا بين الهدف والتسلية مثارًا لجدل طويل من حين إلى آخر في حياتنا الثقافية. ولا شك أنه من الجميل أن يضحك المرء وأن ينفي عن نفسه هموم الحياة، ولكن إلى أن يتحقق للإنسان حلمه في تلك الحياة الميسرة الخالية من الهموم والعلاقات الاجتماعية المتشابكة سيظل الفرد مطالبًا بأن يأخذ نفسه بشيء كثير من الجد، وأن يروض نفسه على مواجهة مشكلات الحياة بدل نسيانها في ضحك أجوف مستمر، وأن يقيم توازنًا معقولاً بين ما يجعله قادرًا على تلك المواجهة وما يخفف عنه بعض آلامها.

ومن الإنصاف أن نذكر أن كل كتابنا المسرحيين المرموقين قد استطاعوا في السنوات القليلة الماضية أن يحققوا في أعمالهم ذلك التوازن المنشود فجمعوا بين القضايا الجادة والمعالجة الكوميدية التي قد تختلف في درجتها ولكنها قل أن تجور على جدية الموضوع. على أن هناك بعض مسرحيات تقدمها الفرق التمثيلية الخاصة تحاول أن تجمع بين الهدف والتسلية، ولكن مؤلفيها لا يستطيعون أن ينسوا شعبية الكوميديا الهزلية، وسرعان ما يضيع الهدف لديهم في زحمة التسلية أو على الأصح يصبح مجرد نقطة انطلاق إليها. من تلك المسرحيات مسرحية «البغل في الإبريق» التي تقدمها بنجاح كبير فرقة تحية كاريوكا، من تأليف وإخراج الأستاذ فايز حلاوة. وقد دفعني إلى الكتابة عن هذه المسرحية ما يثيره نجاحها الجماهيري وثناء كثير من الكتاب والنقاد المعروفين عليها من قضايا حول جمهورنا المسرحي ووضع النقد في حياتنا الثقافية عامة والمسرحية بوجه خاص.



ومن الآراء الخطيرة التي قيلت في هذه المسرحية ما كتبه الدكتور يوسف إدريس: «شاهدت مسرحية «البغل في الإبريق» لفرقة تحية كاريوكا. وقد قضيت أمتع ثلاث ساعات عشتها هذا الشهر وخرجت أهنئ مؤلفها المخرج الفنان فايز حلاوة، فقد استطاع بحق وحنكة أن يضع إصبعه على ما تهفو إليه النفوس في المسرح في عام ٦٧ بلغة ٦٧ وسرعة ٦٧. وبروبابيكيا والبغل نستطيع أن نقول إن فايز حلاوة قد وجد طريقه الخاص إلى قلب الجمهور؛ بحيث يستطيع بقدرة وبقوة أن يبقيه في حالة «تمسرح» تام طوال العرض المسرحي مستفيدًا من كل تجارب المسرح المصري، ملبيًا تلك الدعوة التي تصاعدت من الأعماق تطالب بخلق أشكال مصرية للمسرح وموضوعات مصرية. والحقيقة أن النجاح الذي بلغته المسرحية له ما يبرره، فحرارة الموضوع وصدقه لم تطغ على الاحتياجات المسرحية الأساسية. واستطاع فايز حلاوة بمجموعته الرائعة من الممثلين، حسن حسين ونبيلة عبيد ووحيد سيف الفنان السكندري أن يخلق نماذج حية صاخبة، كاريكاتورية قليلاً ولكنها أبدًا لا تخرج على الحيز العام للفكرة والمسرحية. إنه مسرح الضحك الهادف، هذا حقيقي، ولكنه لا ينسى أبدًا أن يستحوذ على صفات المسرح التجاري الذي يعيش ويتنفس ويستمر بالجماهير وإقبال الجماهير».

أما الأستاذ رشدي صالح فإنه لم يقنع بوصف المسرحية بأنها مسرحية هادفة بل تجاوز ذلك إلى اصطلاح عجيب فسماها «مسرحية ضاربة»، وقال عنها: «إن الانتقاد في هذه الكوميديا يشمل نواحي مختلفة باختلاف الحياة التي يعرفها الجمهور ويعيشها، فهو يصيب «الخطأ» في «شركة نقل» على حد تعبير المسرحية وينتقد أزمة الأتوبيسات بوجه عام بضربة سريعة لا تتجاوز حفنة من كلمات الحوار. ثم تمتد الانتقادات هنا وهناك بدون أن تتعلق أو تقع في التعقيد. وبهذا الأسلوب السريع توجه المسرحية انتقاداتها الضاربة على مساحة واسعة. وهي تنتقد في صراحة وبصوت مرتفع وفي حوار ممزوج بتوابل الروح المصرية الذكية الساخرة. والمسرحية تنتمي إلى المسرح الانتقادي الساخر، وتتصف بارتفاع درجة السخونة في النقد والسرعة في الحركة وانتشار الموضوع على مساحة واسعة كما قلنا. وقد أتيح لي أن أشاهد هذا الجنس الأدبي والفني في زيارتي لألمانيا الغربية.. ولا أظن أن فايز حلاوة قد تابع هذا المسرح الألماني الذي أتحدث عنه، ولكنه يعرف عن دراية أنه يمكن أن يستجمع فن الكوميديا قوته، ويحقق غرضه إذا ضم عناصر التسلية إلى عنصر «الرأي» وقد صنع هذا بمهارة شديدة في مسرحيته «روبابيكيا»، وعاد يضيفه في مسرحيته الجديدة «البغل في الإبريق»».

وسأحاول أن أناقش هذين الرأيين الخطيرين لكاتبين من المسئولين المرموقين. ولكني قبل المناقشة أود أن نذكر للمؤلف قدرته الطيبة على خلق كثير من المواقف الكوميدية الناجحة والحوار الفكه الطريف، وهي قدرة كانت تستطيع بلا شك أن تؤتي ثمارًا أفضل لو لم يكن ما سماه الدكتور يوسف إدريس بـ «المسرح التجاري» دائمًا في ذهن صاحبها. ومن الانصاف أيضًا أن نحيي الأستاذ صلاح منصور على دوره الكبير الذي أداه بموهبة الفنان المقتدر، وأن نوجه ثناءً خاصًا إلى فنان الإسكندرية؛ الأستاذ وحيد سيف، فهو بلاشك موهبة جديرة بأن تشق طريقًا ميسورًا إلى النجاح في عالم التمثيل الكوميدي. والحق أنني كلما شاهدت مسرحية من هذا القبيل خالجني الشعور بأن



لدينا من المواهب في التمثيل ما يفوق مواهبنا في التأليف، وأن كثيرًا مما تحرزه بعض هذه المسرحيات من النجاح يعود إلى جهد الممثلين أكثر مما يعود إلى طبيعة النص المسرحي.

وواضح أن تقدير الكاتبين لهذه المسرحية ينبع من قدرتها – في رأيهما – على المزاوجة بين الهدف والتسلية. والحق أن المسرحية تبدأ بداية مبشرة حين تقدم ذلك الأفاق الطريف الذي جاء إلى إحدى شركات النقل الكبيرة ليكون رئيس مجلس إدارتها بعد أن أعلنت الشركة عمن يشغل هذه الوظيفة. وهو يدَّعي أن له نشاطًا سياسيًّا ويتشدق بشعارات لا يفهم حقيقة مدلولها، ولكنه يتخذها ذريعة إلى الوصول. ولكن المسرحية لا تلبث بعد دقائق – وبعد أن يصبح ذلك الأفاق رئيسًا للشركة بالفعل- أن تتحول إلى مواقف هزلية منفصلة تكاد تكون مبتورة الصلة بهدفها الأصلي من كشف بعض الوصوليين والانتهازيين. وما يلبث الجنس - وهو عامل رئيسي في تلك المسرحيات – أن يطل بوجهه المكشوف في صورة امرأة لعوب تسعى إلى الزواج بالأثرياء ثم الطلاق منهم بعد أن تظفر بما تستطيع من مال. وهي نفس الشخصية النمطية التي أشرت إليها في مطلع المقال بثوبها الضيق اللامع وتثنيها المتكلف وحاجبيها المتحركين وردفيها البارزين وضحكتها الممطوطة المجلجلة. وتتعاقب اللوحات الهزلية واحدة بعد الأخرى ولا ينتقل المؤلف من لوحة إلا بعد أن يستنفدها تمامًا، وليس كما يقول الأستاذ رشدي صالح: «بضربة سريعة لا تتجاوز حفنة من كلمات الحوار وبدون أن تتعلق أو تقع في التعقيد».

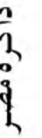
ومثال ذلك هذا الحوار الطويل في المقارنة بين وسيلتي النقل بالسيارات وبعربات الكارو وذلك المنظر الذي يتطور إلى غناء ثم رقص، فيلف سكرتير الشركة منديلاً حول وسطه ليرقص «عشرة بلدي»! ومثل تلك العبارات النمطية المكررة على لسان المعلمة رئيسة سائقي العربات الكارو التي تحاول بالرشوة أن يرسو عليها العطاء الذي أعلنت عنه الشركة بقولها: «أصلها قماصة وتضرب بالجوز ولا مجاحشة» على وزن لا مؤاخذة.

ولعل الأستاذ رشدي صالح قد توهم سرعة الحركة في المسرحية من كثرة هذه المواقف المتفرقة وتنوعها رغم أنها في أغلبها تدور حول معنى واحد، وتكرره مرة بعد أخرى وهو السرقة والرشوة في تلك الشركة، دون أن تضيف إليه جديدًا أو تزيد إحساس المشاهد عمقًا به. فالحركة المسرحية السريعة لا تعني القفز من موقف إلى موقف بل التطور والنمو وإضافة تفريعات إلى المعنى الرئيسي وروافد تزيد من عمقه ودلالته.

وقد فرض المؤلف على نفسه منذ البداية خطأً كان لابد أن ينحرف به بعد وقت قصير عن موضوعه الأول الذي كان يبشر بأن تكون المسرحية مسرحية هادفة حقًّا. ذلك لأنه راعى بدقة «ما تهفو النفوس إليه في المسرح في عام ٦٧ بلغة ٦٧ وسرعة ٦٧» كما قال الدكتور يوسف إدريس. والنفوس هنا ليست نفوس رواد حقيقيين للمسرح يذهبون إليه متطلعين — حتى في إطار الكوميديا — إلى مزيد من المعرفة بالنفس البشرية، والمجتمع الإنساني جمهور يذهب أغلبهم إلى المسرح؛ ليقضي «سهرة» طيبة لا يحب فيها أن يستثار تفكيره أو وجدانه بما يعكر عليه «أنس» هذه السهرة. وما دام المؤلف مطالبًا بأن يرضي هذه الحاجة، فليس أمامه إلا أن يلجأ إلى أكثر المواقف حدة وأحفلها بالتناقض والمفارقة، وأن تكون شخصياته نمطية ثابتة يقوم وجودها على التكرار والمبالغة بدل أن يقوم على التطور والنمو.

وهكذا اختار شخصيته الأولى على هذا النحو فكانت أعجز من أن تمضي تحمل تلك القضية الكبيرة التي خيل إلينا في بداية المسرحية أنه يريد أن يعالجها. فقد أعلنت شركة النقل عن حاجتها إلى رئيس مجلس إدارة، فجاء هذا الأفاق الجاهل الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وأصبح في غمضة عين الرئيس المنشود. ونحن لا نحاسب المؤلف هنا بمنطقية الأحداث أو اتزانها، فلا شك أن للكوميديا أسلوبها الخاص في المبالغة التي تبرز دلالة الموقف على نحو ساخر مضحك. ولكن المبالغة في الصورة التي اختارها لتلك الشخصية فاقت كل مقتضيات الكوميديا وبلغت حدًّا من الإسراف استحال معه أن تحمل الشخصية ما أراد لها المؤلف من دلالات. وما كان لمثل هذا المدير – الذي يوقع على أوراق الشركة باسم «زينب»؛ لأنه يتردد في كتاب القراءة الذي يتعلم منه القراءة والكتابة – أن يكون وسيلة ناجحة لمعالجة انحراف سياسي أو فساد خلقي أو إداري إلا في ذلك الخط الضيق الذي سارت فيه المسرحية من تكرار لمعنى السرقة والرشوة. ولاشك أن المؤلف كان يستطيع – لو اختار تلك الشخصية على مستوى اجتماعي وثقافي معقول في حدود ما تقتضيه طبيعة الكوميديا – أن يُضَمِّن مسرحيته كثيرًا من التفريعات الخصبة، فمشكلات شركة كبيرة لا تتلخص في السرقة، بل هناك مشكلات أخرى كثيرة لم يكن من الممكن أن تدور في خلد هذا الرئيس الأمي المحتال.

وقد أخذ الدكتور يوسف إدريس على المسرحية مأخذًا وحيدًا، وهو «تلك الخطبة العصماء قرب نهاية المسرحية، خطبة لا معنى لها ولا داعي، ولو كانت قد طالت قليلاً لكانت قد هوت بالمسرحية تمامًا». ولكن هذه النهاية المتكلفة جاءت نتيجة طبيعية لإحساس المؤلف بأنه قد بدأها هادفًا ثم ضل في متاهات الفكاهة الصاخبة القائمة على المبالغة المسرفة والمفارقة الحادة، فكان لابد أن يحقق شيئًا من التوازن بين البداية وسائر المسرحية، وهكذا عاد مرة أخرى وبطريقة مفاجئة غير مبررة إلى الهدف الذي بدأ به. ومن العجيب أن تلك الخطبة العصماء التي تتغنى بالفضيلة وتدعو إلى التطهر وتنشد الشعر في جمال الوطن، قد جرت على لسان شخصيتين تمثلان الانحراف والفساد؛ هما: شخصية رئيس الشركة المحال الذي صنع ما صنعه الرئيس السابق من ابتزاز لأموال الشركة، وشخصية «المعلمة» التي لا تؤمن إلا بالرشوة وبأن المال يمكن أن يشتري كل شيء حتى أنقى الضمائر. كل ذلك بدون تحول معقول من خلال مواقف في المسرحية تصرف هاتين الشخصيتين عن طبيعتهما السابقة.



وقد دعا الدكتور يوسف إدريس في مقالات سابقة إلى أن يحاول من يكتبون للمسرح أن يدركوا الطبيعة المسرحية لجمهورنا، وما يتجاوب معه هذا الجمهور من مواقف وأساليب مسرحية. وأثنى في مقاله عن هذه المسرحية على الأستاذ فايز حلاوة؛ لأنه استفاد من كل تجارب المسرح المصري «ملبيًا تلك الدعوة التي تصاعدت من الأعماق تطالب بخلق أشكال مصرية للمسرح وموضوعات مصرية». ولا شك أنها دعوة جديرة بالالتفات، ولكنها قابلة للمناقشة أيضًا. فلا يمكن أن يراد بهذه الدعوة الاستجابة المطلقة لما تقبل عليها الجماهير من أساليب مسرحية وبخاصة إذا كانت جماهير ليس لها تقاليد مسرحية أصيلة. ولكن هذه الدعوة تستطيع أن تحقق ثمرتها الطيبة إذا فهمنا الروح الجوهرية التي تكمن وراء إيثار هذه الأساليب، واستطعنا أن نعدل هذه الأساليب فنوفق بين مقتضيات المسرح والفن من ناحية وحاجة تلك الروح من ناحية أخرى، دون أن نخضع خضوعًا مطلقًا لذوق الجمهور غير المدرب أو المصقول.

فإذا كان جمهورنا يحب المفارقة الحادة مثلاً فلابد أن نحتال؛ حتى لا تتجاوز الحدة القدر المعقول فتهبط بالمسرحية إلى الإسفاف أو الابتذال أو الخروج على الذوق الاجتماعي والقيم الأخلاقية لمجرد الإضحاك لا لنقد هذا الذوق أو تغيير تلك القيم. ولنضرب لذلك مثلا «لوحتين» من تلك اللوحات المتفرقة التي أشرت إليها من قبل:

الأولى حين يفد إلى الشركة من يهدد بالاعتداء على رئيسها فيدخل المرحاض ويغلق الباب، ثم يدخل السكرتير ليعرض عليه أوراق الشركة وشكاوى الجمهور. وينادي المدير سكرتيره صائحًا: يا سفنجوري! فيصيح السكرتير مجيبًا: حاضر يا سعادة البيه. ويسرع فينتزع عدة خطابات من الملف ويهرع إلى المرحاض وبعد لحظة يسمع الجمهور – من خلال الميكرفون المعلق على واجهة المسرح – تدفق الماء في السيفون، ويعود المدير فيصيح يا فنجوري. ويجيب سفنجوري: حاضر يا سعادة البيه، ويهرع إليه بمزيد من الخطابات ونسمع تدفق الماء في السيفون مرة أخرى. ثم يتكرر ذلك مرة ومرة، وكأنما لم يقتنع المؤلف والنخرج بأن المشاهدين قد أدركوا المعنى تمامًا من خلال تكراره ثلاث مرات، فنرى السكرتير يخرج من المرحاض ويسد أنفه بأصبعيه!

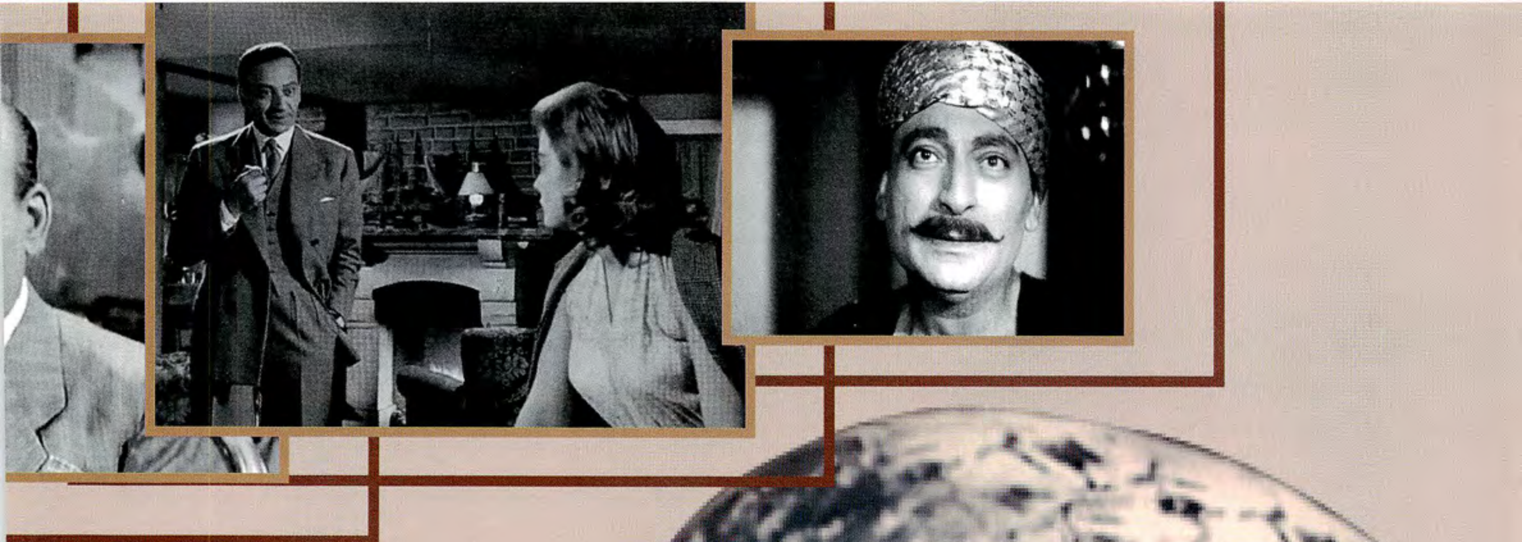
وإذا كانت فضلات الجسم الإنساني قد ظلت زمنًا طويلاً محورًا لكثير من الفكاهة عند شعبنا، فهل نحن مطالبون حقًّا بأن نستجيب لهذه النزعة البدائية الغليظة بعد ما طرأ على مجتمعنا من تحول حضاري كبير؟ ولنقارن بين الفائدة التي يمكن أن تتحقق من «تمسرح» هذا الجمهور على حد تعبير الدكتور يوسف إدريس عن طريق الاستجابة لمطالبه الأولية والضرر الذي يلحق هذا الجمهور ويصيب المجتمع من أثر تعوده على الضحك الغليظ.

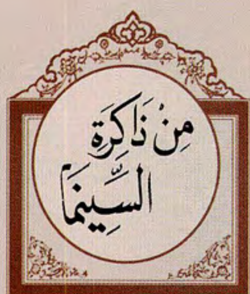
إن هذا المشاهد الذي ينظر إلى ذلك المنظر الدميم وهو يقضم قطعة من الساندوتش ويجرع جرعة من زجاجة الكوكاكولا أو ينثر قشر اللب من طرف فمه كالآلة البارعة دون أن يشعر بأدنى تقزز هو نفس المواطن الذي لا يحس بأية دمامة في سلوك اجتماعي منحرف أو قذارة في ملبس أو مأكل أو طريق أو مهانة في معاملة. وكأنما نروض أنفسنا على غلظة الإحساس في سبيل دقائق من الضحك السطحي الأجوف.

ومرة أخرى أحب أن أؤكد هنا أني لست من المتزمتين الذين يتجاهلون طبيعة العمل الكوميدي وميله إلى المبالغة والتصوير الكاريكاتوري، ولكن هناك أساليب كثيرة للمبالغة لا تفضي إلى ذلك الضرر النفسي البليغ. ومع ذلك فإن أسلوب المؤلف لم يقنع بتلك الحركات الثلاث، فتناول الموضوع مرة أخرى حين اشترى المدير زجاجة كولونيا «مغشوشة» أخذ السكرتير يتهكم على رائحتها الكريهة بقوله: «كنت مليتها في كام جلسة دي؟ دي لو حللوها ح يلقوا فيها دوسنتاريا»!

أما اللوحة الثانية فتبدأ بأن يطلب المدير من السكرتير أن يغلق الباب بالمفتاح معتزمًا أن يتحدث إليه في أمر هام. ولكن السكرتير يفهم الأمر على غير حقيقته، ويظل واقفًا على بُعد من المدير، وهو يكرر: «عيب يا سعادة البيه». ولكن المدير يأمره بالاقتراب، فيصيح متوجسًا: «عيب يا سعادة البيه». وهو يتحسس شاربه بأصابعه مشيرًا إلى رجولته. ثم يصل في النهاية إلى حيث يقف المدير فيقبله المدير؛ إمعانًا في التضليل وإمعانًا في إضحاك الجمهور على هذا الموقف المزري. ومن قبل ذلك قال المدير مخاطبًا زوجته ومشيرًا إلى أنه قد دفع لها مقدم صداق قدره خمسة وعشرون قرشًا: «أنا دافع خمسة وعشرين قرشًا آخد بيها حاجة. أي حاجة إن شالله ببريزة» يقول ذلك وهو يحاول أن يرفع ذيل ثوبها!!

وقد يقال أني آخذ الأمر مأخذ الجد أكثر مما ينبغي، ولكني أحسست بعد قراءتي لذلك الثناء العاطر من كتاب مسئولين أن إنسانًا ما لابد أن يأخذ الأمر مأخذ الجد وبخاصة حين يراد أن تصبح الكوميديا الهادفة من الطراز الذي يأخذ الهدف الاجتماعي مجرد وسيلة ونقطة انطلاق نحو أساليبنا الكوميدية المألوفة في مسرحياتنا الهزلية. وحين يصبح النقد مجرد مجاملات وانطباعات سريعة لا تُبرَّر أحكامها أمام القارئ بتحليل أو دراسة، يصبح ما يتردد عن أزمة النقد عندنا حقيقة واقعة.





محمود المليجي

شرير السينما المصرية ذو القلب الطيب






محمود المليجي ممثل مصري عُرف بأدوار الشر التي قدمها وبرع فيها حتى لقب بـ «شرير السينما المصرية» على الرغم من قلبه الطيب ورقة مشاعره التي شهد له بها جميع من عرفه عن قرب. عرف محمود المليجي كأشهر رئيس عصابة وطبيب نفسي غامض. وفي أحد أدواره قدم لنا شخصية «إبليس» التي تغرر بالإنسان وتفتنه مع عملاق السينما زكي رستم في فيلم «موعد مع إبليس».

ولد محمود حسين المليجي في ٢٢ ديسمبر عام ١٩١٠ م بحي المغربلين بالقاهرة. وكان والده حسين المليجي من أبرز الشخصيات في حي المغربلين وكان يتاجر بالخيول العربية الأصيلة والسيارات، ولكن كانت لديه هواية مفضلة وهي الاستماع إلى الموسيقى والغناء لدرجة جعلت من الابن محمود يحب هو الآخر الغناء والموسيقى، وتمنى في داخله أن يتجه إلى الغناء. ولكن والده رفض ذلك بشدة، إلا أنه كان قد بدأ بالفعل في تلقي الدروس في الموسيقى على يد أحد المدرسين، والذي كان يبالغ في الإشادة بموهبة محمود، ولكن لم يطل ارتباطه بالموسيقى، واتجه إلى عالم الملاكمة في محاولة منه أن يكون ملاكمًا، لكنه بعد أن نال العديد من اللكمات والكدمات قرر أن يهجرها أيضًا.

انضم محمود المليجي في بداية عقد الثلاثينيات من القرن الماضي - كان مغمورًا في ذلك الوقت - إلى فرقة الفنانة فاطمة رشدي، وبدأ حياته مع التمثيل من خلالها؛ حيث كان يؤدي الأدوار الصغيرة؛ مثل أدوار الخادم على سبيل المثال، وكان يتقاضى منها مرتبًا قدره ٤ جنيهات مصرية في ذلك الوقت.

وفي عام ١٩٢٧ م، أعلنت الفنانة عزيزة أمير عن حاجتها لوجوه جديدة للمشاركة في أول فيلم روائي من إنتاجها «ليلى» وقابلت بالفعل مجموعة منهم هي وزوجها مصطفى الشريعي، ووعدتهم بأنها سوف تتصل بهم في الوقت المناسب. وفي هذه الأثناء كان محمود المليجي يدرس في المدرسة الخديوية، والتي أسس ناظرها في ذلك الوقت فرقة لهواة التمثيل سرعان ما انضم إليها المليجي وأصبح رئيسًا لها، وقدم العديد من المسرحيات وشجعه زملاؤه على الاشتراك في فرقة رمسيس ضمن مجموعة من الكومبارس مقابل أجر قدره عشرة قروش يوميًا.

بدأت المرحلة المهمة في حياته عندما استأجرت المدرسة مسرح الأزبكية من الفنانة فاطمة رشدي لتعرض عليها مسرحية «الذهب»، وشاهدته فاطمة رشدي أثناء عرض المسرحية، وأعجبت بموهبته، واعتقدت أنه ممثل محترف وأن الفرقة استعانت به لتضمن نجاح العرض. وبالفعل لم يمضِ وقت كبير حتى بعثت إليه لتلحقه بفرقتها بمرتب شهري قدره أربعة جنيهات، وقدم أول أدواره في مسرحية «٦٦٧ زيتون» من تأليف الفنان أحمد علام، ثم قدم مسرحية «الزوجة العذراء»، و«علي بك الكبير»، فبدأ يلمع خاصة بعد تقديمه مسرحية «يوليوس قيصر»، و«حدث ذات ليلة»، و«الولادة». ونظرًا لاقتناع الفنانة فاطمة رشدي

بموهبته المتميزة، رشحته لبطولة فيلم سينمائي اسمه «الزواج» بعد أن انتقل من الأدوار الصغيرة في مسرحيات الفرقة إلى أدوار الفتى الأول. إلا أن فشل الفيلم جعله يترك الفرقة، وينضم إلى فرقة رمسيس الشهيرة أيضًا؛ حيث عمل فيها مبتدئًا في وظيفة ملقن براتب قدره ٩ جنيهات.

في عام ١٩٣٣م، قدم محمود المليجي أول أدواره السينمائية في فيلم «الزواج» مع فاطمة رشدي وكان دورًا كوميديًّا، ولكن الفيلم لم يحظ بالنجاح المتوقع له مما جعله يقدم استقالته من فرقة فاطمة رشدي ويعود إلى فرقة رمسيس لصاحبها الفنان يوسف وهبي وقدم مسرحية «مليون ضحكة»، وظل يتنقل بين الفرق المسرحية، فانضم إلى فرقة «اتحاد الممثلين»، ثم «الفرقة المصرية»، ثم «فرقة إسماعيل ياسين»، إلا أنه في عام ١٩٣٩م قدم فيلم «قيس وليلى» للمخرج بدر لاما، ولعب أول أدواره الشريرة مما جعله يكرر تقديمه مرات أخرى بعد نجاحه كل مرة بأسلوب مختلف؛ حتى لا يقع في أسر النمطية، وأطلق عليه لقب «شرير الشاشة».

وفي أواخر عام ١٩٣٨ م، تزوج من الفنانة علوية جميل ولم يرزق بأولاد، وقد كانت إحدى عضوات فرقة رمسيس أيضًا، واستمر زواجهما حتى وفاته، واشتركا معًا في عدة أعمال منها أفلام «سجين الليل»، و«أولاد الفقراء»، و«برلنتي»، و«الملاك الأبيض».

ثم عاد المليجي مرة أخرى لتقديم الأدوار الصغيرة إلا أنه بالصبر والاجتهاد وحب الفن، استطاع أن ينتقل من دور لآخر، وأن ينجح في تقديم أدوار الشر التي برع فيها وبلغ شهرة واسعة جعلته من أهم النجوم في تاريخ السينما المصرية. ولم يكن فقط يمثل أدوار الشر، فقد برع أيضًا في تقديم نوعية أخرى من الأدوار وهي الأدوار الإنسانية؛ مثل أدواره في فيلمي «حكاية حب»، و«يوم من عمري» مع عبد الحليم حافظ.

كان الفنان الراحل محمود المليجي رمزًا من رموز مدرسة الأداء الطبيعي مما جعل البعض يلقبه بـ«سبنسر تراسي السينما المصرية»، و«أنطوني كوين العرب»، و«مارلون براندو الشرق»، فلقد كانت موهبته تلقائية بالرغم من أنه كان ينوي الاتجاه إلى الغناء، وبدأ فعلاً وهو في المدرسة الثانوية في تلقي دروسه في العزف والغناء.



في عام ١٩٤٧ م، أقدم على تجربة الإنتاج السينمائي وقدم أفلامًا تتماشى مع الإطار الذي رسمه لنفسه، ومنها أفلام «الملاك الأبيض»، و«الأم القاتلة»، و«المغامر». وكون ثنائيًّا فنيًّا مع زميله الفنان فريد شوقي، وقدما معًا أفلامًا ناجحة؛ منها «حميدو»، و«سواق نص الليل»، و«رصيف نمرة خمسة» وغيرها.

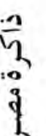
في عام ١٩٦٣ م، وبعد ربع قرن من الزواج والوفاء للفنانة علوية جميل تزوج من فنانة شابة تعمل بفرقة إسماعيل ياسين اسمها فوزية الأنصاري، إلا أن علوية لم تستسلم وأجبرته على أن يطلق زوجته الجديدة في اليوم الثالث لزواجه منها وبالفعل طلقها، ويقال إن علوية جميل هي التي اتصلت بها وقالت لها: «أنتي طالق يا فوزية».

وفي أفلام يوسف شاهين كان يقدم أدوارًا مختلفة؛ مثل الإنسان الطيب والأب الحنون وخرج من نمط الرجل الشرير تمامًا؛ مثل أفلام «الأرض»، و«العصفور»، و«عودة الابن الضال»، و«إسكندرية ليه» وغيرها.

نال الفنان محمود المليجي العديد من الجوائز والأوسمة؛ منها وسام الاستحقاق اللبناني عام ١٩٦٦م، وجائزة الدولة التشجيعية، وانتخب عام ١٩٨٠م عضوًا بمجلس الشورى المصري.

كان آخر فيلم شارك فيه فيلم «أيوب» مع الفنان عمر الشريف والفنانة مديحه يسري، وقد توفي أثناء عمله في الفيلم في ٦ يونية ١٩٨٣ م. وكان يتمنى أن يقدم جزءًا ثانيًا لفيلم «الأرض»، وأن يكمل أسطورة «محمد أبو سويلم» ولكنه رحل تاركًا وراءه ٧٥٠ فيلمًا سينمائيًّا وتليفز و٣٢٠ مسرحية وعشرات المسلسلات الإذاعية والتليفزيونية التي لا ينساها المشاهدون.

توفي عن عمر يناهز ٧٣ عامًا بعد أن قدم للفن والسينما المصرية العديد من الأدوار التي أصبحت علامات على الطريق.



أهم أفلامه

- «أمير الانتقام» عام ١٩٥٠م.
- «أبو الذهب» عام ١٩٥٤م.
- «رصيف نمرة ٥» عام ١٩٥٦م.
- «أبو حديد» عام ١٩٥٧م.
- «امسك حرامي» عام ١٩٥٨م.
- «أبو أحمد» عام ١٩٦٠م.
- «سجين الليل» عام ١٩٦٣م.
- «بطل للنهاية» عام ١٩٦٣م.
- «الأرض» عام ١٩٧٠م.
- «إسكندرية ليه» عام ١٩٧٨م.
- «البحث عن المتاعب» عام ١٩٧٥م.
- «ألو أنا القطة» عام ١٩٧٥م.
- «أيام العمر معدودة» عام ١٩٧٨م.
- وآخرها فيلم «أيوب» عام ١٩٨٣م مع عمر الشريف، والذي مات فيه أثناء التصوير ولم يستطع إكماله.

أهم مسلسلاته

- «القط الأسود» عام ١٩٦٤م.
- «ليالي الحصاد» عام ١٩٧٧م.
- «العنكبوت» للدكتور مصطفى محمود، عام ١٩٧٣م.
- «برج الحظ» مع محمد عوض، عام ١٩٧٨م.
- «الأيام» مع الفنان الراحل أحمد زكي، عام ١٩٧٩م.
- «رداء لرجل آخر» عام ١٩٨٠م.
- «اليتيم و الحب» عام ١٩٨٠م.



ساعة لقلبك مع عبد الناصر



إعداد: ياسر قطامش

الناشر: مكتبة جزيرة الورد

تاريخ النشر: ٢٠١٣ م

عدد الصفحات: ٢٤٠ صفحة




صدر حديثًا للشاعر الساخر ياسر قطامش عن مكتبة جزيرة الورد كتاب جديد يتناول فيه شخصية الرئيس جمال عبد الناصر الذي لا يعرفه أحد، أي من جوانب نادرًا ما تحدث عنها المؤرخون؛ وهي الجوانب الإنسانية المرحة في حياته وهواياته المختلفة؛ مثل التصوير، والتنس، والشطرنج، وحبه لبرنامج ساعة لقلبك الفكاهي والأفلام الكوميدية لنجيب الريحاني وعلي الكسار وإسماعيل يس مع صور ووثائق نادرة؛ منها (شهادة نجاحه في البكالوريا، وصورته مع زوجته على البلاج، وصورته بالبيجاما وبملابس الإحرام في الحج، وصورته وهو يلعب الشطرنج).

ويضم الكتاب أيضًا مجموعة أخرى من الموضوعات التاريخية الطريفة المتنوعة موثقة بالصور مقسمة إلى ثلاثة ملفات: عن جمال عبد الناصر، ومكون من أربعة فصول؛ هي (ساعة لقلبك مع عبد الناصر)، و(ليلة زفاف عبد الناصر وليلة رحيله)، و(لقطات طريفة وأخرى نادرة عن عبد الناصر)، و(عبد الناصر نجم الغلاف الأول في صحافة زمان). ويقدم قطامش رؤية غير تقليدية فنجده يحلل شخصية عبد الناصر باعتباره من مواليد ١٦ يناير ١٩١٨ م أي من مواليد (برج الجدي) ومدى انطباق مواصفات هذا البرج عليه؛ ومنها الزعامة الفطرية وعدم التقليد والشخصية المغناطيسية التي تجذب الآخرين. كما يتحدث قطامش عن هوايات عبد الناصر في فترة التلمذة؛ ومنها الصحافة والخطابة والتمثيل والتأليف وذلك خلال دراسته في مدرسة النهضة الثانوية؛ حيث قام بتمثيل دور قيصر؛ القائد الروماني في مسرحية «يوليوس قيصر» لشكسبير، كما كتب مقالات عديدة في مجلة المدرسة؛ ومنها (فولتير رجل الحرية). ويتحدث المؤلف أيضًا كيف كان عبد الناصر يحب النكت. ومن أهم ما يرويه قطامش أن المرحوم الدكتور خالد جمال عبد الناصر كان أستاذه في كلية الهندسة بجامعة القاهرة في أوائل الثمانينيات، ومن خلال عيون خالد الابن رسم قطامش صورة للأب الزعيم جمال عبد الناصر. ومن الطريف أن يرصد لنا الكتاب تفاصيل زفاف عبد الناصر وزوجته السيدة تحية يوم ٢٩ يونية ١٩٤٤ م وأغنية الزفة (اتمخطري يا حلوة يا زينة)، ويرصد أيضًا كيف كان عبد الناصر زوجًا مثاليًّا يقدس الحياة الزوجية، وخطاباته لزوجته أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ م. كما يرصد قطامش تفاصيل جنازة عبد الناصر لحظة بلحظة وكأنه شاهد عيان عليها ويعرض لنا صور مجموعة عملات وطوابع تذكارية صدرت عقب رحيله بالإضافة إلى مجموعة صور نادرة لعبد الناصر على أغلفة مجلات عصره؛ مثل (الاثنين، والجيل الجديد، والهلال، والقوات المسلحة، والإذاعة، والمصور) وغيرها. ولم ينس المؤلف ذكر عينة من النكت والقفشات التي أضحكت عبد الناصر، وربما أثرت عليه عندما كان يتخذ قراراته؛ حيث قرر سنة ١٩٦٥ م دعم أسعار الياميش عندما سمع نكتة عن تضرر الناس من ارتفاع أسعار الياميش. يبقى لنا أن نشير إلى أن هذا الكتاب هو رقم ٢٠ في قائمة مؤلفات قطامش الذي يميل أسلوبه دائمًا إلى المرح والفكاهة شعرًا ونثرًا حتى وهو يعيد قراءة أحداث التاريخ وتقديمها من جديد برؤية غير تقليدية لا تخلو من تعليقاته وقفشاته وتحليله الساخر، مع ربط الوقائع القديمة بالمستجدات الحديثة بما يتفق مع روح العصر؛ ليجذب القارئ العادي للإبحار في عالمه.



ساعات الإسكندرية

محب فهمي

سبقت الإسكندرية العالم العربي في تزيين ميادينها. وكانت الساعات من أجمل ما زين الميادين وجملها، بيد أنَّ بعض الساعات أزيلت وأصبحت في مقبرة التاريخ، ومنها ساعة مبنى بورصة الإسكندرية التي أقيمت بالمنشية عام ١٩٠٤ م، وأزيلت عندما أزيل المبنى، وكذلك ساعة مبنى مدرسة سان مارك بالشاطبي. أما الساعات الباقية حتى اليوم فهي من آثار الإسكندرية؛ ومنها ساعة مبنى محطة السكك الحديدية بمحطة مصر والتي أقيمت عام ١٩١٢م، وساعة مبنى المطافئ بمحطة مصر، وساعة محطة ترام رمل الإسكندرية، وساعة مسجد القائد إبراهيم بمحطة الرمل، وساعة الزهور بطريق الحرية، وساعة قسم شرطة باب شرق، وساعة مطار النزهة، وساعة محطة ترام بولكلى.

ساعة قسم باب شرق



ساعة كلية سان مارك



ساعة مبنى المطافئ



ساعتا مبنى السكك الحديدية بمحطة مصر



ساعة الزهور بطريق الحرية



ساعة محطة الرمل



ساعة مئذنة جامع القائد إبراهيم بمحطة الرمل

ساعة مبنى البورصة

أفلام المصري
(أحمد بدرخان)

انور احمد
امينه رزق
ماجده
محمود المليجي

بالاشتراك مع
حسين رياض
في فيلم
شهيد الوطنية

مصطفى كامل

مدير التصوير
محمد عبد العظيم

إخراج
أحمد بدرخان

توزيع: شركة أفلام النصر



